فضل العفو والصفح

فضل حسن الخلق

فضل المراقبة

الشيخ ندا أبو أحمد

الألوكة
alukah.net

الكتاب الجامع للفضائل

(63)

فضل العفو والصفح - فضل حسن الخلق

فضل المراقبة

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل العفو والصفح- فضل حسن الخلق
فضل المراقبة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شــرور أنفســنا، ومن ســيئات أعمالنــا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللــه، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّـهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُـوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُـواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَــاءلُونَ بِــهِ وَالأَرْحَــامَ إِنَّ اللّــهَ كَــانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَقُولُـوا قَـوْلًا سَـدِيدًا (70) يُصْــلِحْ لَكُمْ أَعْمَــالَكُمْ وَيَغْفِــرْ لَكُمْ ذُنُــوبَكُمْ وَمَن يُطِــعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هــدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

أولًا: فضل العفو والصفح:

أولًا: فضل العفو والصفح من القرآنِ الكريمِ:

ثانيًا: فضل العفو والصفح من السُّنَّةِ النَّبَويَّةِ:

ثالثًا: فضل العفوِ والصفح من أقوالِ وأفعال السَّلَفِ والعُلَماءِ وغَيرِهم:

ثانيًا: فضل حُسن الخلق:

أرسل الله تعالى النبي ليتمم صالح الأخلاق.

حسن الخلق وصية النبي .

حسن الخلق يستجلب قلوب الناس، فيكثر الأحباب، ويقل الأعداء.

أحبُّ عبادِ اللَّه إلى اللَّهِ أحسنُهُم خلقًا.

حسن الخلق من كمال الإيمان.

حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم.

حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار.

حسن الخلق أثقل عبادة في الميزان.

حسن الخلق يجنب المسلم منزلة السوء يوم القيامة.

حسن الخلق يحفظ على المسلم حسناته ويجنبه الإفلاس يوم القيامة.

حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة.

بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.

حسن الخلق سبب في القرب من الرسول .

شهادة الناس بالخير لمن حسن خلقه سبب في دخول الجنة.

الدعاء بطلب حسن الخلق.

ثالثًا: فضل وفوائد وثمرات المراقبة

من أقوال السلف الصالح في المراقبة:

الْمُرَاقَبَةُ تجعلُ المسلمَ يَصِلُ إلى درجة الإحسان.

المراقبة سبب في صلاح الأفراد والمجتمعات.

المراقبة تجعل الإنسان يحسن في عبادته.

مراقبة الله تقي الإنسان من الوقوع في المعصية أو الفاحشة.

نماذج مشرقة في سماء المراقبة:

مراقبة الله وقاية من الغش والمكر والخديعة.

مراقبة الله سبب لمغفرة الذنوب.

مراقبة الله تجعل الإنسان لا يدخل جوفه إلا الحلال.

مراقبة الله تفتح على الإنسان أبواب الرزق.

مراقبة الله سبب لتزكية النفس.

مراقبة الله تجعل الإنسان يؤدي ما عليه من الحقوق.

مراقبة الله سبب للنجاة في الدنيا والآخرة.

مراقبة الله سبب في تفريج الكروب.

مراقبة الله سبب أن يستظل العبد في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

مراقبة الله سبيل لدخول الجنة.

أولًا: فضل العفو والصفح [1]:

أولًا: فضل العفو والصفح من القرآنِ الكريمِ:

وردت آيــاتٌ كثــيرةٌ في ذِكــرِ العَفْــوِ والصَّــفحِ، والتَّرغيبِ فيهما، ومن هذه الآياتِ:

1- قولُه تعــالى: ﴿وَلَا يَأْتَــلِ أُولُو الْفَضْــلِ مِنْكُمْ وَالسَّــعَةِ أَنْ يُؤْتُــوا أُولِي الْقُــرْبَى وَالْمَسَــاكِينَ وَالْمُهَـاجِرِينَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُـوا وَلْيَصْـفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِـرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النـور: 22).

قـال ابنُ كثـيرٍ-رحمه اللـه-: "هـذه الآيـةُ نـزَلَت في الصِّـدِّيقِ حينَ حَلَف ألَّا ينفَـعَ مِسـطَحَ بنَ أُثاثـةَ بنافعـةٍ بعدما قال في عائشةَ ما قـال، فلمَّا أنـزل اللَّهُ بـراءةَ أمِّ المُؤمِــنينَ عائشــةَ، وطــابت النُّفــوسُ المُؤمِنــةُ واســــتقَرَّت، وتـــاب اللَّهُ على من كـــان تكَلَّمَ من المُؤمِنين في ذلـك، وأقيم الحـدُّ على من أقيمَ عليـه؛ شَــرَع تبــارك وتعــالى - وله الفضــلُ والمنَّةُ- يُعَطِّفُ الصِّـدِّيقَ على قريبِه ونَسـيبِه، وهو مِسـطَحُ بنُ أُثاثـةَ؛ فإنَّه كان ابنَ خالةِ الصِّـدِّيقِ، وكـان مِسـكينًا لا مـالَ له إلَّا ما يُنفِقُ عليه أبو بكرٍ ، وكـان من المهـاجِرين في سـبيلِ اللَّهِ، وقد وَلَق [2] وَلْقـةً تـاب اللَّهُ عليه منهـا، وضُــرِبَ الحَــدَّ عليها. وكـــان الصِّـــدِّيقُ معروفًا بـالمعروفِ، له الفَضــلُ والأيــادي على الأقــارِبِ والأجانِبِ. فلمَّا نـزلت هـذه الآيـةُ إلى قولِه: أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِـرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ أي: فـإنَّ الجـزاءَ من جِنسِ العَمَـلِ، فكما تَغفِـرُ عن المـذنِبِ إليك نغفِـرُ لك، وكما تصفَحُ نصفَحُ عنك. فعند ذلك قـال الصِّـدِّيقُ: بلى، واللَّهِ إنَّا نُحِبُّ- يا رَبَّنا- أن تغفِـرَ لنا! ثمَّ رجَع إلى

1- ? استفدت كثيرًا من" موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية".

2- وَلَق: أي: كَذَب. (مقاييس اللغة لابن فارس:6/145) (تاج العروس للزبيدي:26/ 482).

مِسـطَحٍ ما كـان يَصِـلُه من النَّفقـةِ، وقـال: واللَّهِ لا أنزِعُها منه أبـدًا، في مقابلـةِ ما كـان قـال: واللَّهِ لا أنفَعُه بنافعةٍ أبـدًا؛ فلهـذا كـان الصِّـدِّيقُ هو الصِّدِّيقَ وعن بِنتِه ". (تفسـير القـرآن العظيم لابن كثـير: 6/31).

2- وقال تعـالى: ﴿وَسَـارِعُوا إِلَى مَغْفِـرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْـظَ وَالْعَـافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِـنِينَ﴾ (آل عمران: 133، 134).

بيَّن اللَّهُ سُـبحانَه صـفاتِ المتَّقين الـذين أعَـدَّ لهم جَنَّتَـه، وذَكَر منها صِـفةَ العَفْـوِ، فقـال: وَالْعَـافِينَ عَنِ النَّاسِ. ويـدخُلُ في العَفْـوِ عن النَّاسِ العَفْـوُ عن كُـلِّ مَن أساء إليك بقَولٍ أو فِعلٍ، والعَفْوُ أبلَـغُ من الكَظْمِ؛ لأنَّ العَفْوَ تَركُ المؤاخَـذةِ مع السَّـماحةِ عن المُسـيءِ، وهذا إنَّما يكونُ ممَّن تحلَّى بـالأخلاقِ الجميلـةِ، وتخلَّى عن الأخلاقِ الرَّذيلـةِ، وممَّن تـاجَر مع اللَّهِ، وعفا عن عبادِ اللَّهِ رحمةً بهم، وإحسانًا إليهم، وكراهةً لحُصـولِ الشَّرِّ عليهم، ولِيَعفوَ اللَّهُ عنه، ويكـونَ أجـرُه على رَبِّه الكريمِ، لا على العبدِ الفقيرِ، كما قـال تعـالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: 40). (تيسير الكريم الرحمن ص: 148).

3- وقال سُبحانَه: ﴿وَجَـزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْـلَحَ فَـأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:40).

وقولُه تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْـلَحَ فَـأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فمَن عفا عمَّن أساء إليه إساءتَه إليـه، فغَفَرَها له ولم يعاقِبْه بها، وهو على عقوبتِه عليها قـادِرٌ؛ ابتغـاءَ

وَجهِ اللَّه، فأجرُ عَفوِه ذلك على اللَّهِ، واللَّهُ مُثيبُه عليه ثوابَه ". (جامع البيان للطبري:21/ 548).

قال السَّعديُّ-رحمه الله-:" وفي جَعلِ أجـرِ العـافي على اللَّهِ ما يُهَيِّجُ على العَفْوِ، وأن يعامِلَ العبدُ الخَلـقَ بما يحِبُّ أن يعامِلَه اللَّهُ بــه، فكما يحِبُّ أن يعفــوَ اللَّهُ عنه فلْيَعْـــــفُ عنهم، وكما يحِبُّ أن يســــامِحَه اللَّهُ فلْيُسامِحْهم؛ فإنَّ الجزاءَ من جِنسِ العَمَـلِ ". (تيسـير الكريم الرحمن ص: 760).

أمَّا قَولُه: ﴿وأَصْلَحَ﴾ فقيل: المـرادُ: أصـلَحَ بينَه وبينَ خَصـمِه الـذي ظلَمَه بـالعَفْوِ، وقيل المـرادُ: أصـلَحَ في عَفــوِه، أي: صــار عَفــوُه مُشــتَمِلًا على الإصــلاحِ. (الوسـيط للواحـدي:4/58)ـ (تفسـير ابن عـثيمين - سورة الشورى).

4- وقـــال تعـــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَـدُوًّا لَكُمْ فَاحْـذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُـوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَـإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التغـابن: 14).

هذا تحذيرٌ من اللَّهِ للمُؤمِنين من الاغـترارِ بـالأزواجِ والأولادِ؛ فإنَّ بعضَهم عدوٌّ لكم، والعَدوُّ هو الـذي يريـدُ لك الشَّرَّ، ووظيفتُك الحَذَرُ ممَّن هذا وصــفُه، والنَّفسُ مجبولــةٌ على محبَّةِ الأزواجِ والأولادِ، فنَصَــح تعــالى عبـادَه أن تـوجِبَ لهم هـذه المحبَّةُ الانقيـادَ لمطـالِبِ الأزواجِ والأولادِ، ولو كـان فيها ما فيها من المحــذورِ الشَّــرعيِّ، ورغَّبهم في امتثــالِ أوامِــرِه، وتقــديمِ مَرضـاتِه بما عنـدَه من الأجـرِ العظيمِ المُشـتَمِلِ على المطالِبِ العاليةِ والمحابِّ الغاليةِ، وأن يـؤثِروا الآخِـرةَ على الـدُّنيا الفانيـةِ المنقضـيةِ، ولَمَّا كـان النَّهيُ عن طاعــةِ الأزواجِ والأولادِ فيما هو ضَــرَرٌ على العبــدِ، والتَّحذيرُ من ذلك، قد يُوهِمُ الغِلظةَ عليهم وعقــابَهم؛

أمَر تعالى بالحَذَرِ منهم، والصَّفحِ عنهم والعَفْوِ؛ فإنَّ في ذلك من المصالِحِ ما لا يمكِنُ حَصْرُه، فقال: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ لأنَّ الجزاءَ من جِنسِ العَمَلِ. فمَن عفا عفا اللَّهُ عنه، ومَن صَفَح صَفَح اللَّهُ عنه، ومَن غَفَر غَفَر اللَّهُ له، ومَن عامَل اللَّهَ فيما يحِبُّ، وعامَل عِبادَه كما يُحِبُّون وينفَعُهم، نال محبَّةَ اللَّهِ ومحبَّةَ عبادِه، واستوثَقَ له أمرُه ". (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: 868).

5- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: 37).

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله- في تفسيرِه لهذه الآيةِ: "أي: سَجِيَّتُهم وخُلُقُهم وطَبْعُهم تقتضي الصَّفحَ والعَفْوَ عن النَّاسِ، ليس سجيَّتُهم الانتقامَ من النَّاسِ ". (تفسير القرآن العظيم 7/210).

6- وقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء: 149).

في الآيةِ أنَّ الإحسانَ إلى النَّاسِ يكونُ إمَّا بإعطاءِ الخَيرِ ظاهِرًا أو خَفيًّا، وإمَّا بدَفعِ السُّوءِ، وذلك بالعَفْوِ عنهم؛ لقَولِه: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾؛ فالعَفْوُ عن السُّوءِ خَيرٌ، فيُستفادُ من ذلك فضيلةُ العَفْوِ عن السُّوءِ. (تفسير ابن عثيمين - سورة النساء).

وقد بيَّنَت الآيةُ أنَّ فاعِلي الخيراتِ جَهرًا أو سِرًّا، والعافينَ عن النَّاسِ الذين يُسيئون إليهم، يَجزيهم سُبحانَه وتعالى من جِنسِ عَمَلِهم، فيعفو عن سَيِّئاتهم، ويُجزِلُ مَثوبتَهم، وكان شأنُه العَفْوَ، وهو القديرُ الذي لا يُعجِزُه الثَّوابُ الكثيرُ على العَمَلِ القليلِ، وإذا عفا فإنَّما يعفو عن قُدرةٍ كاملةٍ على العقابِ؛ فصيغةُ المبالغةِ من القُدرةِ، وهي كَلِمةُ قَديرٍ، هي التي تدُلُّ على إجزالِ المثوبةِ وعلى

التَّرغيبِ في العَفْـوِ مع القــدرةِ على المؤاخَـذةِ، وإلَّا كـان وَضـعُها في هـذا الموضِـعِ غَـيرَ متَّفِـقٍ مع بلاغـةِ القُرآنِ". (تفسير المنار:6/ 6).

7- وقـال تعـالى: ﴿وَلَا تَسْـتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلَا السَّـيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ فَـإِذَا الَّذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَـمِيمٌ [1] (34) وَمَا يُلَقَّاهَا [2] إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: 34)

يقـول السـعدي-رحمه اللـه-: " وقوله تعـالى: ﴿وَلَا تَسْـتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلَا السَّـيِّئَةُ﴾ أي: لا يسـتوي فعل الحسـنات والطاعـات لأجل رضا الله تعـالى، ولا فعل السـيئات والمعاصي الـتي تسـخطه ولا ترضـيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتهـا، ولا في وصـفها، ولا في جزائها ﴿هَـلْ جَـزَاءُ الْإِحْسَـانِ إِلَّا الْإِحْسَـانُ﴾ ثم أمر بإحسـان خـاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليـك، فقـال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: فإذا أسـاء إليك مسـيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقـارب، والأصـحاب، ونحـوهم، إسـاءة بـالقول أو بالفعـل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فـاعف عنـه، وإن تكلم فيـك، غائبًا أو حاضـرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين.

وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابـذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمـة. ﴿فَـإِذَا الَّذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: كأنه قريب شـفيق. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: وما يوفق لهـذه الخصـلة الحميـدة ﴿إِلَّاالَّذِينَ صَـبَرُوا﴾ نفوسـهم على ما تكـره، وأجبروها على ما يحبه اللـه،

[1]- وليّ حميمٌ: صَديقٌ قريبٌ يَهتمّ لأمرِكَ.
[2]- ما يلقّـاها: ما يُؤتـَى هذه الخصلة الشريفة.

فـإن النفـوس مجبولة على مقابلة المسـيء بإسـاءته وعــدم العفو عنــه، فكيف بالإحســان؟". فــإذا صــبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمســيء بجنس عملــه، لا يفيـــده شــيئًا، ولا يزيد العـداوة إلا شـدة، وأن إحسـانه إليـه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع للّه رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا لــه. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ لكونها من خصال خواص الخلق، الـتي ينـال بها العبد الرفعة في الـدنيا والآخـرة، الـتي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

8- وقال تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ صَـبَرُوا ابْتِغَـاءَ وَجْـهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّـلَاةَ وَأَنفَقُـوا مِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ سِـرًّا وَعَلَانِيَـةً وَيَدْرَءُونَ[1] بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ[2] (22) جَنَّاتُ عَــدْنٍ يَــدْخُلُونَهَا وَمَن صَــلَحَ مِنْ آبَــائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُـلِّ بَابٍ(23) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَـبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الـدَّارِ﴾ (الرعد:22-24)

وقوله تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ صَـبَرُوا ابْتِغَـاءَ وَجْـهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: الــذين صــبروا على الأذى وعلى الطاعــة، وعن المعصـــية طلبًا لرضا ربهم، وأدَّوا الصـــلاة على أتمِّ وجوهــا، وأدَّوا من أمــوالهم زكــاتهم المفروضــة، والنفقــات المسـتحبة في الخفـاء والعلن، ويـدفعون بالحسنة السـيئة فتمحوهـا، أولئك الموصـوفون بهـذه الصـــفات لهم العاقبة المحمـــودة في الآخـــرة. تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزولون عنهـا، ومعهم الصالحون من الآبـاء والزوجـات والـذريات من الذكور والإنـات، وتـدخل الملائكة عليهم من كل بـاب؛ لتهنئتهم بـدخول الجنـة. تقـول الملائكة لهم: سَـلِمْتم من كل سـوء بسـبب صـبركم على طاعة اللـه، فنِعْمَ عاقبة الدار الجنة.

9- وقـــال تعـــالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنـفَ بِـالأَنفِ وَالأُذُنَ بِـالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَـدَّقَ بِـهِ فَهُـوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ... ﴾ (المائدة:45)

قال ابن عباس-رضي الله عنهمـا-: " مغفـرة له عند الله وثواب عظيم ".

10- وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:199)

1- يدرءون: يدفعون ويُجازون.

2- عقبى الدار: عاقبتها المحمودة، وهي الجنّات.

قال عبد الله بن الزبير-رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿خذ العفو﴾: "أُمِرَ نبي الله ﷺ أن يأخذ العفوَ من أخلاق الناس". (أخرجه البخاري في التفسير)

وقال الشنقيطي-رحمه الله-: " بيّن في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يعامَل به الجهلة من شياطين الإنس والجن، فبيّن أن شيطان الإنس يعامل باللين وأخذ العفو، والإعراض عن جهله وإساءته. وأن شيطانَ الجن لا مَنجي منه إلا بالاستعاذة بالله منه (أضواء البيان:1/435).

11- وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيل﴾ (الحِجر:85)

12- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرين﴾ (النحل: 126)

13- وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور﴾ (الشورى:43)

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وما سبق ففيه الكفاية.

ثانيًا: فضل العفو والصفح من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

1- أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ: "ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ[1]، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا[2]، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ[3]".

---

[1]- ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ: ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية. وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني: أنه وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

[2]- وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا: فيه أيضًا وجهان: أحدهما على ظاهره، ومن عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك. (قاله القاضي عِياضٌ-رحمه الله-)

وفي الحديثِ: بيانُ فَضلِ العفوِ والصَّفحِ، وأنَّ مَن عُرِفَ بِالعفوِ والصَّفحِ سادَ وعَظُمَ في قلوبِ النَّاسِ.

وفيه: بَيانُ فَضلِ التَّواضُعِ للهِ سُبحانَه وتَعالَى.

وقَولُه ﷺ: " ما زاد اللَّهُ عبدًا بعَفوٍ إلَّا عِزًّا ". فيه وجهانِ: أحدُهما: ظاهِرُه أنَّ مَن عُرِف بِالصَّفحِ والعَفْوِ ساد وعَظُم في القُلوبِ وزاد عِزُّه. الثَّاني: أن يكونَ أجرُه على ذلك في الآخرةِ، وعِزَّتُه هناك ". (إكمال المعلم: 8/28).

***- وأخرج الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:* " ثلاثةٌ أقسِمُ عليْهِنَّ[1] وأحدِّثُكم حديثًا فاحفظوهُ قالَ:" ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبرَ عليْها، إلَّا زادَهُ اللَّهُ عزًّا[2]، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ[3]، إلَّا فتحَ اللَّهُ عليْهِ بابَ فقرٍ[4]...". (صحيح الترمذي: 2325) (صحيح الجامع:3024**

***- وأخرجه الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:* " ثلاثٌ أُقسِمُ عليهِنَّ: ما نقَصَ مالٌ قطُّ من صدقةٍ،**

---

3 - وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ: فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة رفعه الله فيها بتواضعه في الدنيا.

قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة. وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة.

1- ثلاثةٌ أُقسِمُ عَليهِنَّ: أي أحلِفُ علَيهِنَّ، والمرادُ: أنَّه ﷺ وهو الصَّادقُ المصدوقُ، يُخبِرُ عن ثلاثةِ أمورٍ يُؤكِّدُهنَّ بالقسَمِ؛ وذلك بيانٌ لأهمِّيتِهنَّ والحرصِ علَيهِنَّ، ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ:" وأُحَدِّثُكم حَديثًا فاحفَظوه"، وهذا لِمَزيدِ التأكيدِ على أهميَّةِ ما يَقولُ، وقيل: بل هو إخبارٌ عن أهمِّيَّةِ حديثٍ آخَرَ غيرِ الَّذي يُقْسِمُ عليه.

2- زادَه اللهُ عِزًّا: أي كان جَزاؤُه أن يَزيدَه اللهُ بهذا العفوِ والصَّبرِ عِزًّا وشرَفًا، ومكانةً عاليةً.

3- ولا فتَح عبدٌ بابَ مسألةٍ: بأن يَمُدَّ يدَه، ويسأَلَ النَّاسَ لِيَستكثِرَ مِن أموالِهم في غيرِ حاجةٍ أو ضرورةٍ.

4- إلَّا فتَح اللهُ عليه بابَ فقرٍ: أي: إنَّ اللهَ تعالى يَفتَحُ عليه بابَ احتياجٍ، أو يَسلُبُ مِنه ما أنعَم به عليه.

فتصـدَّقُوا، ولا عَفَا رجـلٌ عن مَظلمـةٍ ظُلِمَها إلا زادَهُ اللهُ تعالَى بِها عِزًّا، فاعفُوا يـزِدْكمُ اللـهُ عِـزًّا، ولا فتَحَ رجلٌ على نفسِهِ بابَ مَسألةٍ يَسألُ الناسَ إلا فتَحَ اللـهُ عليه بـابَ فقْـرٍ ". (صـحيح الجـامع: 3025) (صـحيح الترغيب والترهيب:2462)

- *وأخرج الحاكم في المسـتدرك من حـديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:* " إنَّ اللـهَ تعـالى عفوٌّ يُحِبُّ العَفوَ". (صحيح الجامع: 1779)

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنَسِ بنِ مالِكٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال:* " إنَّ الأنصارَ كَرِشي وعَيْبتي[1]، وإنَّ النَّاسَ سيَكثُرون ويَقِلُّون، فاقبَلوا من محسِـنِهم، واعفُوا عن مُسيئِهم ".

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ قال:* "أنَّ رَجُلًا قـالَ: يا رَسُـولَ اللـهِ! إنَّ لي قَرَابَـةً أَصِـلُهُمْ وَيَقْطَعُـونِي، وَأُحْسِـنُ إليهِم وَيُسِـيؤُونَ إلَيَّ، وَأَحْلُمُ عنْهمْ وَيَجْهَلُـونَ عَلَيَّ، فَقـالَ: لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ، فَكَأنَّما تُسِفُّهُمُ[2] المَلَّ[3] وَلَا يَزَالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عليهم[4] ما دُمْتَ علَى ذلكَ ".

1- كَرِشي وعَيْبتي: أي: جماعتي وخاصَّتي الـذين أثِـقُ بهم وأعتَمِـدُهم في أموري، وضَرَب مَثَلًا بالكَرِشِ؛ لأنَّه مُسـتقَرُّ غِـذاءِ الحيـوانِ الـذي يكـونُ به بقاؤه، والعَيبةُ وِعـاءٌ مَعـروفٌ يَحفـظُ الإنسـانُ فيها ثيابَه وفـاخِرَ متاعِـه، ويصونُها، ضرَبَها مثلًا لأنَّهم أهْل سِرِّه وخَفِيِّ أحوالِه.

(أعلام الحديث للخطابي:3/ 1644) (شرح النووي على مسلم: 16/ 68).

2- فكأنَّما تُسِفُّهُم: أي: تُطعِمُهم في أفواهِهِم.

3- المَلَّ: الرَّمـادُ الحـارُّ، وهو تَشـبيهٌ لِما يَلحَقُهم مِن الإثمِ بما يَلحَـقُ آكِـلَ الرَّمـادِ الحـارِّ مِن الألَم، وقيـل: معنـاه: إنَّك بالإحسـانِ إليهم تُخـزِيهم وتُحَقِّرُهم في أنفُسِهم لِكثرةِ إحسانِكَ وقَبيحِ فِعلِهم.

4- ولا يَزالُ معكَ مِنَ عنـدِ اللـهِ ظَهـيرٌ عَليهم: أي مُعِينٌ لـكَ عليهم ودَافِـعٌ عنـكَ أذاهم مَا دُمْتَ على ما ذَكـرْتَ مِن إحسـانِكَ إليهم وظَلّوا هُم على إساءتِهم إليكَ.

- وأخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله لأشجِّ عبد القيس : " إن فيك خَصلتينِ يُحِبُّهما الله: الحِلمُ، والأناة ".

قَالَ الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في" شرح رياض الصالحين:3/ 576": " وقول النبي : " إن فيك خَصلتينِ يحبُّهما الله: الحِلم، والأناة". والحِلم: عندما يثار الإنسان ويُجنى عليه ويُعتدى عليه يحلُم، لكنه ليس كالحمار لا يبالي بما فُعِل به، يتأثر لكن يكون حليمًا لا يتعجل بالعقوبة، حتى إذا صارت العقوبة خيرًا من العفو أخَذَ بالعقوبة. والأناة: التأني في الأمور وعدم التسرع، وما أكثرَ ما يَهلِكُ الإنسانُ ويَزِلُّ بسبب التعجل في الأمور، وسواء في نقل الأخبار، أو في الحكم على ما سمع، أو في غير ذلك.

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث زارع بن عامر بن عبد القيس العبدي قال: لما قدمنا المدينةَ، فجعلْنا نتبادرُ من رواحِلنا[1]، فنقبِّل يدَ النبيِّ ورجلَه، وانتظر المنذر الأشج[2] حتى أتى عيبته[3] فلبس ثوبيه[4] ثم أتى النبي فقال له إن فيك خلتين[5] يحبهما الله الحلم[6] والأناة[7]. قال: يا رسول اللهِ! أنا أتخلق بهما[8] أم الله جبلني عليهما[9]؟ قال: بل الله

1- لَمَّا قَدِمْنا المدينةَ، فجعَلْنا نَتبادَرُ مِنْ رَواحِلِنا: أي: لَمَّا جِئْنا إلى المدينةِ مُسْلمينَ، وصَلْنا عِنْدَ النَّبيِّ نَتسارَعُ في النُّزولِ عن رِكابِنا مِن الإبلِ وغيرِها؛ ليَسْبِقَ بعضُنا بعضًا.

2- وانْتَظَرَ المُنْذِرُ الأَشَجُّ: أي: لَمْ يُسارِعْ كالَّذين سارَعوا إلى النَّبيِّ ، وكان على رأسِ وَفْدِ عبدِ قيسٍ ومُقدِّمتِهم.

3- حتَّى أتى عَيْبَتَه: أي: مُستودَعَ ثيابِه.

4- فلَبِس ثوبيه: أي: مُسْتحسِنًا لأحسنِ ثيابِه وقيل: كانتْ بِيضًا.

5- إنَّ فيكَ خُلَّتَينِ: أي خَصْلتَينَ.

6- الحِلْمُ: العَقْلُ.

7- الأناةُ: التَّرفُّقُ وعَدَمُ التَّعجُّلِ.

8- أنا أتخلَّقُ بِهما: أي أكْتَسِبُهما في حياتي.

9- أمِ اللهُ جَبَلَني علَيهِما: أي جَعَلَهُما اللهُ فِيَّ دونَ اكْتِسابٍ لهما وتَعوُّدٍ عليهِما.

جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله ". (صحيح أبي داود: 5225- دون ذكر الرجلين)

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ عمَرَو- رَضِيَ اللَّهُ عنهما- قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:

" تعافُّوا الحُدُودَ فِيما بَينَكُم [1]، فما بَلغَني [2] مِن حدٍّ فقدْ وجَبَ [3] " (صحيح أبي داود: 4376) (صحيح الجامع: 2954)

- *وأخرج أبو داود والترمذي من حديث عبـدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ-رَضِـيَ اللَّهُ عنهمـا- قـال:* جـاء رجُـلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ! كم نعفو عن الخـادِمِ؟ فصَـمَت، ثمَّ أعـاد عليه الكلامَ، فصَـمَت، فلمَّا كـان في الثَّالثـةِ قال: اعفوا عنه في كُلِّ يوم سَبعينَ مَـرَّةً ". (صـحيح الترمذي:2031) (صحيح أبي داود: 5164)

وفي هـذا الحَـديثِ يَحكي ابنُ عُمـرَ- رضِـي اللـهُ عنهما- أنَّه: "جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسـولَ اللهِ! كَم نعْفُو عن الخـادِمِ"، أي: كم مـرَّةً عند ارتِكابِـهِ فِعْلًا خاطِئًا أو أمرًا خلافَ الَّذي نـأمُرُه؟ "فصـمَتَ" أي: فسَكتَ النَّبيُّ ﷺ ولم يُجبْه، قيـل: إنَّ صَـمْتَه ﷺ إجابـةٌ؛ لأنَّ العفْوَ أمرٌ مقَرَّرٌ شـرْعًا؛ فلا حاجَـةَ للسُّـؤالِ عنْـه، وقيـل: كـان مُنتظِـرًا للـوَحْيِ في تلك المَسـألَةِ،" ثمَّ أعادَ" أي: السَّائلُ "عليـهِ" أي: على النـبيِّ ﷺ" الكلامَ" أي: هذا السؤال،" فصَمَتَ، فلمَّا كان في الثَّالثَـةِ" أي: لَمَّا أعـادَ عليه الرجُـلُ السُّـؤالَ للمَـرَّةِ الثالثـة، أجابَه النَّبيُّ ﷺ، فقـال:" اعْفـوا عنه في كـلِّ يَـومٍ سَـبعينَ مرَّةً"، وهذا العددُ للكثرةِ لا لبُلوغِ مُنتهَى العـددِ، وهـذا

---

[1]- تَعافوا الحُدودَ فيما بيْنكم: أي تَجاوزا عنها، فلا ترْفَعوها إليَّ للتَّقاضِي.
[2]- فمَا بلَغَني: أي: وصَلَ إليَّ.
[3]- مِن حدٍّ فقدْ وجَبَ: أي لازِمٌ عليَّ إقامَتُه.

كنايةٌ عن العفوِ الدَّائمِ عن الخادمِ، مع إرشادِه إلى الصَّوابِ وتأدِيبِه، وهذا مِن رَحمتِه ورِفقِه ﷺ بأُمَّتِه. وفي الحَديثِ: الحَثُّ على العفْوِ عن الخطَأِ والزَّلَلِ في الأُمورِ الَّتي لا تَنْدرِجُ تحتَ المَناهي الشَّرعيَّةِ. (الدرر السنية)

- وأخرج الإمام أحمد والبخاري في" الأدب المفرد" والطبراني من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ عمَرَو- رَضِيَ اللَّهُ عنهما- قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ: **" ارْحمُوا تُرحَمُوا، واغْفِرُوا يُغفَرْ لكُمْ... ". (صحيح الجامع: 897) (السلسلة الصحيحة: 482)**

وقوله ﷺ:" ارْحَموا تُرْحَموا"، أي: تَخلَّقوا بخُلُقِ الرَّحمةِ بينكم مع الكَبيرِ والصَّغيرِ، والحُرِّ والعبدِ وحتى مع الخادِمِ بل حتَّى مع الحَيوانِ؛ فيَرْحَمُكم اللهُ عزَّ وجلَّ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، "واغْفِروا يُغْفرْ لكم"، أي: وكذلك الشَّأْنُ في التخلُّقِ بخُلُقِ المَغْفِرَةِ والصَّفْحِ جَزاؤُه مغفرةُ اللهِ لعبادِهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ؛ وذلك أنَّ اللهَ سُبحانَه يُحبُّ أسماءَه وصِفاتِه -التي منها الرَّحمةُ والغُفران- ويحبُّ مِن خَلْقِه مَن تَخلَّقَ بها.

- وأخرج الترمذي وابن حبان والطبراني من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:

" حَرُم على النارِ كلُّ هيِّنٍ[1]، لينٍ، سهلٍ[2]، قريبٍ من الناسِ ". (صحيح الجامع:2609)

---

[1]- هَيِّنٍ: أي: يتَّصِفُ بالسُّكونِ والوَقارِ، واللِّينِ في تصرُّفاتِهِ مع النَّاسِ.

[2]- سَهْلٍ: أي: سَهْلِ المُعامَلةِ والخُلُقِ، مُيسِّرٍ على النَّاسِ.

- وفي رواية: " أَلَا أُخْبِرُكم بمَن يَحْرُمُ على النَّارِ[1]، وبمَن تَحْرُمُ عليه النَّارُ[2]؟ على كلِّ قريبٍ، هيِّنٍ، سهْلٍ ". (رواه الترمذي)

- وفي رواية: " أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ ". (رواه الترمذي)

- وأخرج البخاري من حديث عَطاء بن يَسارٍ قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العَاصِ- رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا- قُلتُ: أخْبِرْنِي عن صِفَةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في التَّوْرَاةِ، قالَ: أجَلْ؛ واللَّهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ في التَّوْرَاةِ ببَعْضِ صِفَتِهِ في القُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: 45)، وحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أنْتَ عَبْدِي ورَسولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، ليسَ بفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ، ولَا سَخَّابٍ في الأسْوَاقِ، ولَا يَدْفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يَعْفُو ويَغْفِرُ، ولَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حتَّى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بأَنْ يَقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويَفْتَحُ بهَا أعْيُنًا عُمْيًا، وآذَانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلْفًا ".

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنَسِ بنِ مالِكٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: " كُنْتُ أمْشِي مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ وعليه بُرْدٌ[3] نَجْرَانِيٌّ[4] غَلِيظُ الحَاشِيَةِ[5]، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ[6]، فَجَبَذَهُ برِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حتَّى نَظَرْتُ إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ قدْ أثَّرَتْ بهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِن شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ! مُرْ لي مِن

---

[1]- أَلَا أُخْبِرُكُمْ "بمَنْ يَحْرُمُ على النَّارِ"، أي: يُمْنَعُ ويُحْجَزُ عن دُخولِها، فيُعافى منها.
[2]- وبمَنْ تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟: أي: تُصْبِحُ النَّارُ مُحرَّمةً عليه فلا يَدْخُلُها، هي مِنْ بابِ التَّأكيدِ، فهي كالجُمْلةِ السَّابِقةِ.
[3]- البُرْدُ: نَوعٌ مِنَ الثِّيابِ.
[4]- النَّجْرانيُّ: نِسْبَة إلى نَجْرانَ مدينةٍ باليمنِ.
[5]- غَليظُ الحاشيةِ: أي غليظُ الجانبِ.
[6]- أعرابيٌّ: هو العَرَبيُّ الذي يَسكُنُ الصَّحْراءَ.

مَالِ اللَّهِ الذي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إلَيْهِ رَسولُ اللَّهِ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أمَرَ له بعَطَاءٍ ".

وفي الحَديثِ: كمالُ خُلُقِ رَسولِ اللهِ وحِلْمِه وصَفْحِه الجَميلِ. وفيه أيضًا: الحَثُّ على احتِمالِ الجاهِلينَ، والإعراضُ عن مقابَلَتِهم، ودَفْعُ السَّيِّئةِ بالحَسَنةِ.

- *وأخرج البخاري من حديث جَابِر بن عبدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا- أَخْبَرَ:* أنَّهُ غَزَا مع رَسولِ اللَّهِ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسولُ اللَّهِ قَفَلَ معهُ، فأدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ في وادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ[1]، فَنَزَلَ رَسولُ اللَّهِ وتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسولُ اللَّهِ تَحْتَ سَمُرَةٍ وعَلَّقَ بهَا سَيْفَهُ، ونِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسولُ اللَّهِ يَدْعُونَا، وإذَا عِنْدَهُ أعْرَابِيٌّ[2]، فَقالَ: إنَّ هذا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وهو في يَدِهِ صَلْتًا[3]، فَقالَ: مَن يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلتُ: اللَّهُ، (ثَلَاثًا) ولَمْ يُعَاقِبْهُ وجَلَسَ.

- *وفي رواية:*" فها هو ذا جالس"، ثم لم يعاقبه رسول الله .

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" فمنَّ عليه لشدَّة رغبة النبي في استئلاف الكّفار ليدخلوا في الإسلام، ولم يؤخَذ بما صنع، بل عفا عنه، وقد ذَكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم وأنه رجع إلى قومه، فاهتدى به خَلْق كثير". (فتح الباري:9/ ٥٤٤)

---

[1]- كل شجرٍ يَعْظُم له شوك.
[2]- اسمُه غَوْرَثُ بنُ الحارِثِ.
[3]- أي: مُجَرَّدًا من غمده.

- وأخرج الترمذي من حديث أبي عبدِ اللهِ الجَدليُّ قال: **سألْتُ عائشةَ-رَضِيَ اللَّهُ عنها- عَن خلقِ[1] رسولِ اللَّهِ فقالَت: لم يَكُن فاحِشًا[2]، ولا مُتفَحِّشًا[3]، ولا صخَّابًا في الأسواقِ[4]، ولا يَجزي بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولَكِن يَعفو ويَصفَحُ[5] ". (صحيح الترمذي: 2016)**

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود أنَّ رسولَ اللَّهِ قال: **" كَأَنِّي أنْظُرُ إلى النَّبيِّ يَحْكِي نَبيًّا مِنَ الأنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ".**

وفي هَذا الحديثِ يُخبِرُ عبْدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ أنَّه رَأى النَّبيَّ وهو يَصِفُ حالَ نَبيٍّ مِن الأنبياءِ، وقدْ " ضَرَبَه قَومُه" حتَّى سالَ منه الدَّمُ مِن ضَرْبِهم، فأخَذَ يَمسَحُ الدَّمَ عن وَجْهِه ويَقولُ:" اللَّهُمَّ اغفِرْ لِقَومي"، يَطلُبُ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ العفْوَ والصَّفحَ عنهم، وعدَمَ مُؤاخَذتِهم بفِعلِهم، وأضافَهُم إليه" قَومي" شَفقةً ورَحمةً بهم، ثمَّ اعتَذَرَ عنهم بجَهْلِهم، فقال:" فهمْ لا يَعلَمون"، وهذا مِن رَأفةِ النَّبيِّ على قَومِه وحُبِّ الخيرِ لهم، وخَشيةً مِن العَقابِ وحُلولِ العَذابِ عليهم جَزاءً لتَعذيبِهم وإيذائِهم نبيًّا مِن أنبياءِ اللهِ. وقدْ وقَعَ لنَبيِّنا مِثلُ هذا في غَزوةِ أُحدٍ، وقيل: إنَّ النَّبيَّ في هذا

1- **الخُلقُ: مَلكةٌ تصدُرُ بها الأفعالُ بسُهولةٍ من غيرِ تنكُّرٍ ولا تكلُّفٍ.**

2- **لم يكُنْ فاحِشًا: الفُحْشُ: القُبْحُ، وكلُّ سُوءٍ جاوز حدَّه فهو فاحشٌ، أي: لم يكُنْ مُتكلِّمًا بالقَبيحِ أصلًا ولم يكُنْ في طَبْعِه.**

3- **ولا مُتفَحِّشًا: أي: بالتَّكلُّفِ، أي لمِ يكُنْ فيه الفُحْشُ؛ لا ذاتيًّا ولا عرَضًا.**

4- **ولا صخَّابًا في الأسواقِ: أي لم يكُنْ صيَّاحًا يرفَعُ صوتَه في الأسواقِ.**

5- **ولا يَجْزي بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولكنْ يَعْفو ويَصفَحُ: أي: يُعْرِضُ عن صاحِبِ السَّيئةِ، بلْ ويَعْفو عنه؛ لقولِه تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**

(المائدة:13)

الحـديثِ هو الحـاكي والمحْكيُّ عنـه، وكأنَّه أُوحِيَ إليه بـذلك قبْـلَ غَـزوةِ أُحـدٍ ولم يُعيَّنْ له ذلـك، فحَكـاهُ ﷺ لأصحابِه، فلمَّا وقَعَ تَعيَّنَ أنَّه المَعنيُّ بذلك.

- وأخـرج الإمـام أحمد والطـبراني والـبيهقي من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:

" ما من رجلٍ يُجـرحُ في جسـدِه جراحـةٌ، فيتصـدَّق بها؛ إلا كفَّر اللهُ تبارك وتعالى عنه مثلَ ما تصـدَّق به" (صحيح الترغيب: 2460) (صحيح الجامع:5712)

- وأخرج الإمام أحمد ﷺ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قـال: قـال رسـولِ اللـهِ ﷺ: **" مَنْ أُصِـيبَ بِشَـيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَتَرَكَـهُ لِلَّهِ كَـانَ كَفَّارَةً لَـهُ ". (صـحيح الـترغيب والترهيب:2461)**

• العَفْوُ عن النَّاسِ سَبَبٌ في نَيلِ عَفوِ اللَّهِ؛ فالجزاءُ مِن جِنسِ العمَلِ:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حُذَيفـةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **" إنَّ رجلًا كـان فيمن كـان قبلَكم، أتـاه المَلَـكُ ليَقبِضَ رُوحَـه، فقيل له: هل عَمِلتَ من خـيرٍ؟ قـال: ما أعلَمُ، قيل له: انظُـرْ، قـال: ما أعلَمُ شيئًا غيرَ أنِّي كنتُ أبايِعُ النَّاسَ في الـدُّنيا وأجـازيهم، فأُنظِرُ الموسِرَ، وأتجـاوَزُ عن المُعسِـرِ[1]؛ فأدخَلَه اللـهُ الجنَّةَ ".**

- وأخرج الطبراني في" الكبير" من حديث جرير بن عبد الله ﷺ أنَّ رسـولَ اللَّهِ ﷺ قــال: **" مَن لا يَـرْحَمْ لا يُـرْحَمْ، ومَن لا يَغْفِـرْ لا يُغْفَـرْ لـه، ومَن لا يَتُبْ لا يُتَبْ عليه ". (صحيح الجامع: 6600)**

---

[1]- وقولُه ﷺ:" وأتجاوَزُ عن المُعسِرِ": أي أعفو عن الفقيرِ، وأُبرِئُ ذِمَّتَه عن الدَّينِ كُلِّه أو بعضِه. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري:5/1908).

وقـــوله: " ومَن لا يَغفِـــرْ" أي لِغَـــيرِهِ زلَّاتِـــهِ وخُصوماتِهِ،" لا يُغفَرْ له" فلا يَستحِقَّ أنْ يَغفِرَ اللهُ عـزَّ وجلَّ ذَنْبَهُ.

- *وأخرج البخاري من حديث جريـرِ بنِ عبـدِ اللَّهِ* أنَّه قام يـومَ مـات المغـيرةُ بنُ شُـعبةَ، فحَمِد اللـهَ وأثـنى عليه، وقـال: عليكم باتِّقـاءِ اللـهِ وَحْـدَه لا شـريكَ لـه، والوَقارِ، والسَّـكينةِ، حـتى يـأتيَكم أمـيرٌ، فإنَّما يـأتيكم الآنَ. ثمَّ قـال: اســتَعْفوا لأمــيرِكم؛ فإنَّه كـان يحِبُّ العَفـوَ، ثمَّ قـال: أمَّا بَعـدُ؛ فـإنِّي أتيتُ النَّبيَّ قُلتُ: أبايِعُك على الإســلامِ، فشَــرَط عليَّ: والنُّصــحِ لكُــلِّ مُسلِمٍ فبايَعْتُه على هذا، ورَبِّ هذا المسجِدِ إنِّي لناصِحٌ لكم، ثمَّ استغفَرَ ونَزَل ".

وقولُه:" اسـتَعْفوا لأمـيرِكم" أي: اطلُبـوا له العَفْـوَ من اللّهِ، وقولُه:" فإنَّه كـان يحِبُّ العَفْـوَ" فيه إشـارةٌ إلى أنَّ الجزاءَ يَقَعُ من جِنسِ العَمَلِ. (فتح الباري لابن حجر:1/ 139).

ثالثًا: فضل العفو والصفح من أقوالِ وأفعال السَّلَفِ والعُلَماءِ وغَيرِهم:

1- قال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ : " أفضَلُ العَفْوِ عِندَ القُدرةِ ". (بهجة المجالس لابن عبد البر:1/ 370).

- *وقال ابن عباسٍ -رضي اللَّه عنهما-:* قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ ، فَلَمَّا دَخَل قَالَ: هِي يَا ابْنَ الخَطَّابِ! فَوَاللَّه مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (الأعراف:199)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللَّهِ مَا جاوزَهَا عُمرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّه تَعَالَى ". (رواه البخاري)

2- *وقيل لأبي الدَّرداءِ :* مَن أعَزُّ النَّاسِ؟ فقال: " الذين يعفون إذا قَدَروا؛ فاعفُوا يُعِزَّكم اللَّهُ تعالى ". (نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري:6/58).

- *وجاء في كتاب بذل المعروف ص:289":* أن رجلًا أسمع أبا الدرداء كلامًا، فقال له: يا هذا! لا تُغرقن في سبِّنا، ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه ".

3- *وقال عليُّ بنُ أبي طالِبٍ :* " إذا قدَرْتَ على عَدُوِّك فاجعَلِ العَفْوَ عنه شُكْرَ المقدِرةِ عليه ". (المجتنى لابن دريد ص: 20)ـ (محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني:1/ 282)

- *وقـال عليٌّ أيضًـا:*" إنِّي لأسـتحي من اللَّهِ أن يكـونَ ذَنبٌ أعظَمَ مِن عَفـوي، أو جَهـلٌ أعظَمَ مِن حِلمي، أو عـورةٌ لا يواريها سِـتري، أو خَلَّةٌ لا يَسُـدُّها جُودي ". (تاريخ بغداد للخطيب:2/ 259).

4- جلس عبد الله بن مسـعود في السـوق يبتـاع طعامًا، فابتـاع ثم طلب الـدراهم، وكـانت في عمامته فوجـدها قد حُلَّتْ، فجعل النـاس يـدعون على من أخذها، ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كـذا، فقـال عبد الله : اللهم إن كـان حمله على أخـذها حاجـةٌ، فبـارك له فيهـا، وإن كـان حملته جراءة على الـذنب فاجعله آخر ذنوبه ". (إحيـاء علو الدين:3/196)

5- وقال مُعاويةُ :" عليكم بالحِلمِ والاحتمـالِ حتَّى تمكِنَكم الفُرصـةُ، فـإذا أمكَنَتْكم فعليكم بالصَّـفحِ والإفضالِ ". (إحياء علوم الدين للغزالي:3/184).

- *وقـال مُعاويـةُ أيضًـا:*" إني لأرفَـعُ نفسي من أن يكونَ ذَنبٌ أعظَمَ مِن عَفـوي، وجَهـلٌ أكثَـرَ من حِلمي، أو عَـورةٌ لا أواريها بسِـتري، أو إسـاءةٌ أكثَـرَ مِن إحساني ". (تاريخ الرسل والملوك للطبري:5/ 335)

6- وقـال ابنُ عبَّاسٍ -رَضِـيَ اللَّهُ عنهمـا-:" ما عفا رجُلٌ عن مَظلَمةٍ إلَّا زاده اللَّهُ بها عِزًّا ". (إحياء علـوم الدين للغزالي:2/ 195).

7- وقال عُمَـرُ بنُ عبـدِ العزيـزِ -رحمه اللـه-:" أحَبُّ الأمورِ إلى اللَّهِ ثلاثةٌ: العَفْوُ في القُدرةِ، والقَصـدُ في الجِـدَةِ، والرِّفـقُ في العِبـادةِ، وما رَفَق أحـدٌ بأحَـدٍ في

الدُّنيا إلَّا رَفَق اللَّهُ به يومَ القيامةِ ". (رواه ابنُ حبـان في روضة العقلاء ص: 167).

8- *وقال سـعيدُ بنُ المُسَـيِّبِ -رحمه اللـه-:* " ما من شـيءٍ إلَّا واللَّهُ يُحِبُّ أن يُعفى عنه ما لم يكُنْ حَـدًّا ". (رواه مالك).

9- *وقال الحَسَنُ-رحمه الله-:* " أفضَلُ أخلاقِ المُؤمِنِ العَفْـوُ ". (رواه الخلال كما في الآداب الشـرعية لابن مُفلِح:1/71).

10- *وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-:* " إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا، فقُلْ: يا أخي! اعْفُ عنـه؛ فـإنَّ العَفْوَ أقرَبُ للتَّقوى، فإن قال: لا يحتَمِلُ قلبي العَفْوَ، ولكِنْ أنتَصِـرُ كما أمَـرني اللَّهُ عـزَّ وجَـلَّ فقُـلْ له: إنْ كُنتَ تحسِـنُ أن تنتَصِـرَ، وإلَّا فـارجِعْ إلى بـابِ العَفْـوِ فإنَّه بـابٌ واسِـعٌ؛ فإنَّه من عفا وأصـلَح فـأجرُه على اللَّهِ، وصاحِبُ العَفْوِ ينامُ على فِراشِه باللَّيلِ، وصاحِبُ الانتِصـارِ يُقَلِّبُ الأمـورَ ". (رواه ابنُ أبي حـاتم في التفسـير: 18985) (وأبو نعيم في حلية الأوليـاء: 8/112).

11- *وقـال إبـراهيمُ النَّخَعيُّ-رحمه اللـه-:* " كـانوا يَكرَهون للمُؤمِنين أن يَستَذِلُّوا، وكانوا إذا قَدروا عَفَوا ". (رواه البخاري معلَّقًا بصيغة الجـزم ورواه موصـولًا ابن أبي حاتم في التفسير: 18983).

12- *وقال سعيد بن مسروق:* أصاب الربيعَ بنَ خثيم حجرٌ في رأسه فشـجّه، فجعل يمسحُ الـدمَ عن رأسه وهو يقـول: اللهم اغفر لـه، فإنه لم يتعمـدني". (الجامع لشعب الإيمان:14/ ٢٤٨).

13- *وقال أيُّوبَ-رحمه الله-:* " لا يَنبُـلُ الرَّجُـلُ حتَّى يكـونَ فيه خَصـلتانِ: العِفَّةُ عمَّا في أيـدي النَّاسِ،

والتَّجـاوُزُ عنهم ". (رواه ابنُ حبـان في روضة العقلاء ص: 167).

14- *وقال الفُضَيلُ-رحمه الله-:*" الفُتُوَّةُ العَفْـوُ عن زلَّاتِ الإخوانِ ". (إحياء علوم الدين للغزالي:2/ 177).

15- *وقال المنصورُ للمَهـديِّ-رحمه اللـه-:*" اسـتَدِمِ النِّعمةَ بالشُّكرِ، والطَّاعـةَ بالتَّألُّفِ، والمَقـدِرةَ بـالعَفْوِ، والنَّصرَ بالتَّواضُـعِ، والرَّحمـةَ للنَّاسِ ". (المجتـنى لابن دريد ص: 41).

16- *قيل للأحنَفِ-رحمه الله-:* ما الإنسانيَّةُ؟ قـال:" التَّواضُعُ عِنـدَ الرِّفعـةِ، والعَفْـوُ عِنـدَ القُـدرةِ، والعَطـاءُ بغيرِ منَّةٍ ". (ربيع الأبرار للزمخشري:4/ 369).

17- *وقــال أكثَمُ بنُ صَــيفيٍّ-رحمه اللــه-:*" خَــيرُ السَّخاءِ ما وافَق الحاجةَ، ومَن عَـرَف قَـدْرَه لم يَهلِـكْ، ومن صَــبَر ظَفِــر، وأكــرَمُ أخلاقِ الرِّجــالِ العَفْــوُ ". (الأمالي لأبي علي القالي:2/ 172).

18- *وقــال قتــادةُ*-رحمه اللــه-:" أفضَــلُ النَّاسِ أعظَمُهم عن النَّاسِ عفــوًا، وأفسَــحُهم له صــدرًا ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:8/ 54).

19- وعَهِد مَلِكٌ إلى ابنِه فقـال: يا بُنَيَّ! إنَّ اللَّهَ لم يَـرْضَ لنَفسِـه من عبـادِه إلَّا مِثـلَ ما رَضِـيَ لهم منـه؛ فإنَّه رحِمَهم وأمَـرَهم بــالتَّراحُمِ، وصَــدَقهم وأمَـرَهم بالصِّــدقِ، وجـاد عليهم وأمَـرَهم بــالجُودِ، وعفا عنهم وأمَرَهم بالعَفْوِ ". (ربيع الأبرار للزمخشري:2/ 246).

20- وقيل للمُهَلَّبِ بنِ أبي صُـفرةَ-رحمه اللـه-: ما تقولُ في العَفْوِ والعقوبـةِ؟ قـال: هما بمنزلـةِ الجُـودِ والبُخلِ، فتمَسَّـكْ بأيِّهما شِـئتَ ". (أدب الـدنيا والـدين للماوردي ص: 349).

21- وقال العِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ-رحمه اللـه-:" عليك بالعَفْوِ عن كُلِّ مَن جنى عليك، أو أساء إليك؛ فإنَّ اللَّهَ يحِبُّ العافينَ ". (شجرة المعارف والأحوال ص: 40).

22- قال إبراهيم الـتيمي -رحمـه الله-:" إن الرجل ليظلمني فأرحمه، قيل: كيف ترحمـه، وهو يظلمـك؟! قال: إنه لا يدري لسخط من يتعرض ". (كتاب الحدائق لابن الجوزي:2/477)

23- وقال أبو عُبَيدِ اللَّهِ الوَزيرِ-رحمه الله-:" سمِعتُ أبا جعفَرٍ أميرَ المُؤمِنين المنصورَ يقولُ لابنِه المَهـديِّ أميرِ المُؤمِـنين:" يا أبا عبـدِ اللَّهِ! إذا أرَدْتَ أمـرًا ففَكِّرْ فيه؛ فإنَّ فِكرةَ العاقِلِ مِرآتُه تُرِيه حَسَنَه وسَيِّئَه، يا أبا عبدِ اللَّهِ! الخليفةُ لا يُصلِحُه إلَّا التَّقـوى، والسُّـلطانُ لا يُصـلِحُه إلَّا الطَّاعــةُ، والرَّعيَّةُ لا يُصـلِحُها إلَّا العَـدلُ، وأعظَمُ النَّاسِ عَفـوًا أقـدَرُهم على العقوبـةِ، وأنقَصُ النَّاسِ عَقلًا مَن ظَلَم مَن هو دونَـه". (شـعب الإيمـان للبيهقي:10/ـ 16)، (تاريخ بغـداد للخطيب البغـدادي: 11/ 247).

24- أُتي عبد الملك بن مـــروان بأســـارى ابن الأشعث، فقـال لرجـاء بن حيـوة:" ما تـرى؟ قـال: إن الله تعالى قد أعطـاك ما تحبُّ من الظفـر، فأعط الله ما يحبُّ من العفو، فعفا عنهم ". (إحياء علوم الـدين: 3/196)

25- وقال مالك بن دينار-رحمه اللـه-:" أتينا مَـنزِلَ الحكم بن أيوب الثقفي- ابن عم الحجـاج بن يوسـف- ليلًا وهو على البصرة أمـير، وجـاء الحسن وهو خـائف وذلك لأن أهل البصرة كانوا قد خلعوا بيعة عبد الملك، وأنكروا تولية الحجاج عليهم، وبايعوا عبد الــرحمن بن الأشــعث- فــدخلنا معه عليــه، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفَرَايج[1]، فذكر الحسن للأمــير قصة يوسف - عليه الســلام- وما صــنع به إخوتــه، فقــالوا: بــاعوا أخاهم، وذكر ما لقي من كيد النساء، ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صـنع الله بـه؟ أدَاله منهم ورفع ذِكْرَه، وأعْلَى كَلِمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صــنع يوسف حين أكمل الله له أمــره وجمع له أهله وحضروا بين يديه؟ قَالَ:﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِـرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الـرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:92)ـ يُعَـرّض الحسنُ للحَكَم بالعَفْوِ عن أصحابه - من القُرَّاء إذ كـان فيهم من مــالأ مع ابن الأشــعث، قــال الحكم: فأنا أقول:" لا تثريب عليكم اليوم ولَوْ لَمْ أَجِدُ إِلَّا ثوبي هذا لـواريتكم تَحْتَـهُ[2]". (إتحـاف السـادة المتقين:9/466) (نضرة النعيم:٢٩٠٩/7).

26- وقـال الجاحِـظُ-رحمه اللـه-:" أنظَـرُ النَّاسِ في العاقبــةِ مَن لَطَف حتَّى كَـفَّ حَـربَ عَـدُوِّه بالصَّــفحِ والتَّجـاوُزِ، واسـتَلَّ حِقـدَه بـالرِّفقِ والتَّحَبُّبِ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:4/ 326).

27- وقال أبو حاتمِ ابنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:" الواجِبُ على العاقِـلِ تـوطينُ النَّفسِ على لُـزومِ العَفْـوِ عن النَّاسِ كافَّةً، وتَـرْكُ الخُـروجِ لمجـازاةِ الإسـاءةِ؛ إذ لا سَبَبَ لتسكينِ الإساءةِ أحسَنُ من الإحسانِ، ولا سَـبَبَ

[1]- صغار الدجاج.
[2]- أي: لسترتكم به.

لنَماءِ الإساءةِ وتهييجِها أشَدُّ من الاسـتِعمالِ بمِثْلِها ". (روضة العقلاء ص: 166).

- وقال أيضًا:" من أراد الثَّوابَ الجَزيلَ، واستِرهانَ الوُدِّ الأصيلِ، وتوقُّعَ الذِّكرِ الجميلِ، فليتحَمَّلْ مِن وُرودِ ثِقلِ الرَّدى، ويتجَرَّعْ مرارةَ مخالفةِ الهوى، باستعمالِ السُّنَّةِ التي ذكَرْناها في الصِّلةِ عِندَ القَطعِ، والإعطاءِ عِندَ المنعِ، والحِلمِ عِندَ الجَهلِ، والعَفْوِ عِندَ الظُّلمِ؛ لأنَّه من أفضَلِ أخلاقِ أهلِ الدِّينِ والدُّنيا ". (المصدر السابق).

- وقال أيضًا:" الواجِبُ على العاقِلِ لُزومُ الصَّفحِ عِندَ وُرودِ الإساءةِ عليه من العالَمِ بأسْرِهم؛ رجاءَ عَفوِ اللَّهِ جَلَّ وعلا عن جناياتِه التي ارتكَبَها في سالِفِ أيَّامِه؛ لأنَّ صاحِبَ الصَّفحِ إنَّما يتكَلَّفُ الصَّفحَ بإيثارِه الجزاءَ، وصاحِبُ العقابِ وإن انتقَم كان إلى النَّدَمِ أقرَبَ، فأمَّا مَن له أخٌ يَوَدُّه، فإنَّه يحتَمِلُ عنه الدَّهرَ كُلَّه زلَّاتِه ". (المصدر السابق ص: 168).

28- قال البيهقي-رحمه الله-:" وأما مُكافأة المسيء بإساءته بما يجوز في الشرع؛ فعليها جِبِلَّة أكثر الخلق، والذي استحبَّه أولو الأحلام والنُّهَى من مكارم الأخلاق: التجاوز والعفو". (الجامع لشعب الإيمان:16/١١٦)

29- وقال صالح بن الإمام أحمد-رحمه الله-:" دخلتُ على أبي يومًا فقلتُ: بلغني أنَّ رجلًا جاء إلى فضل الأنماطي، فقال: اجعلني في حِلٍّ إذا لم أقم بنُصرتك، فقال فضل: لا جعلتُ أحدًا في حِلٍّ، فتبسم أبي وسكت، فلما كان بعد أيام قال لي: مَررت بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠) فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حدثني به

هشام بن القاسم، حدثني المبارك، حـدثني من سـمع الحسن يقـول: إذا جَثَتِ الأمم بين يـدي رب العـالمين يـوم القيامة ونُـودُوا: لِيَقُم مَنْ أجـره على اللـه، فما يقـــوم إلَّا من عفا في الـــدنيا، قـــال أبي: فجعلتُ الميّت[1] في حِلّ من ضـربه إياي، ثم جعل يقـول: وما على رجل أن لا يُعـذِّب اللهُ تعــالى بســببه أحَـدًا ". (الآداب الشرعية لابن مفلح:1/120)

30- وقال ابنُ باز-رحمه الله-:" فإنْ عرَفْتَ أنَّ رَبَّك عَفوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ تقَرَّبْتَ إليه بـالعَفْوِ عمَّن ظلَمَك ومَن أساء إليك، وعوَّدْتَ نفسَك العَفْوَ، فـإذا عـوَّدْتَ نفسَـك العَفْـوَ اسـتراحَتْ نَفسُـك، واطمَـأَنَّ قَلبُـك، وعظُمَت منزِلتُك عِندَ اللَّهِ وعندَ عبادِه؛ فهو سُـبحانَه عفـوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ ". (حديث المساء لابن باز ص: 231).

ومن فضل وفوائِدُ العَفْوِ والصَّفحِ كذلك:

1- في العَفْوِ رَحمةٌ بالمُسيءِ، وتقديرٌ لجانِبِ ضَعفِه البَشَريِّ. (الأخلاق الإسلامية لعبد الـرحمن الميـداني: 1/408).

2- في العَفْـوِ امتِثــالٌ لأمــرِ اللَّهِ، وطَلَبٌ لعَفــوِه وغُفرانِه. (المصدر السابق).

3- في العَفْـوِ توثيــقٌ للرَّوابِــطِ الاجتماعيَّةِ الــتي تتعَرَّضُ إلى الوَهنِ والانفِصامِ بسَـبَبِ إسـاءةِ بعضِـهم إلى بعضٍ، وجنايـــةِ بعضِـــهم على بعضٍ. (المصـــدر السابق).

4- العَفْوُ والصَّفحُ عن الآخَرينَ سَـبَبٌ لنَيـلِ مَرضـاةِ اللَّهِ سُبحانَه وتعالى.

5- العَفْوُ سَبَبٌ للتَّقـوى؛ قـال تعـالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُـوا أَقْـرَبُ لِلتَّقْـوَى﴾ (البقـرة: 237). فـرغَّب في العَفْـوِ،

1- أي الخليفة المعتصم.

وأنَّ مَن عفا كان أقـرَبَ لتَقـواه؛ لكونِه إحسـانًا مُوجِبًا لشَرحِ الصَّـدرِ. (تيسـير الكـريم الـرحمن للسـعدي ص: 105).

6- من يعفو ويصــفَحُ عن النَّاسِ يَشــعُرُ بالرَّاحــةِ النَّفسيَّةِ.

7- بالعَفْوِ تُنالُ العِـزَّةُ: وقد مر بنا قـول النـبي ﷺ: "وما زاد اللَّهُ عبـدًا بعَفـوٍ إلَّا عِـزًّا.... (رواه مسـلم من حديثِ أبي هُرَيرةَ ﷺ).

8- العَفْوُ والصَّـفحُ سَـبيلٌ إلى الأُلفـةِ والمـودَّةِ بَيْنَ أفرادِ المجتَمَعِ، وتقويةٌ لرَوابِطِ الأُخُوَّةِ.

9- في العَفْوِ والصَّفحِ الطُّمَأنينةُ والسَّكينةُ وشَـرَفُ النَّفسِ.

10- بالعَفْوِ تُكتَسَبُ الرِّفعةُ والمحبَّةُ عِندَ اللَّهِ وعِنـدَ النَّاسِ؛ فمَن عُـرِف بالصَّـفحِ والعَفْـوِ سـاد وعَظُم في القُلوبِ. (المفهم لما أشكل من تلخيص كتـاب مسـلم لأبي العباس القرطبي:6/ 575).

12- في العَفْــوِ والصَّــفحِ إنهــاءٌ للمُنازَعــاتِ والخُصوماتِ، ونَزعٌ للغِلِّ والحِقدِ والشَّحناءِ.

13- العَفْـوُ شُـكرٌ للـهِ على المَقـدِرةِ على أعـدائِك والمُسيئين إليك.

ثانيًا: فضل حُسن الخلق:

الأخلاق: جمع خلق ومعنـاه في اللغـة: اسم لسـجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها.

وفي الاصــطلاح: هيئة راسـخة في النفس، تصــدر عنها الأفعال بسهولة ويســر، من غـير حاجة إلى فكر وروية. (قاله الغزالي)

فالكرم مثلا خلق راسخ في نفس الكريم، فإذا رأى فقيرًا أو أتاه سائل حمله الكرم على أن يخرج من جيبه فيعطيه من غير تفكير وطول تأمل.

قال تعالى مُثنيًا على حبيبه وصفيه وأشرف خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4)

هو أكمَلُ النَّاسِ أخْلاقًا؛ فقدْ أدَّبَه رَبُّه فأحسَنَ تَأْديبَه.

أرسل الله تعالى النبي ﷺ ليتمم صالح الأخلاق:

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم والبخاري في "الأدب المفرد" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " بُعِثتُ[1] لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ[2] ". (صحيح الجامع: 2833)

- وفي رواية عند الإمام أحمد والبيهقي في" شعب الإيمان": " إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاقِ ". (السلسلة الصحيحة: 45)(صحيح الجامع:2349)

أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" كانَ النَّبيُّ ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا...".

ولقد وصفت خديجة بنت خويلد-رضي الله عنها- رسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحي.... فقال:" قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي، فَقالَتْ له: كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ...". (والحديث بطوله عند البخاري)

---

[1]- بُعِثْتُ: أي: أُرْسِلْتُ للخلْقِ.

[2]- لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ: أي أُكمِّلَ ما انتقَصَ من صالح الأخلاقِ، لأن العربُ كانتِ تَتخلَّقُ ببعضٍ مِن محاسنِ الأخلاقِ بما بقِيَ عندهم مِن شريعةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، ولكنْ كانوا قد ضلُّوا بالكُفرِ عن كثيرٍ منها؛ فبعثَ الله تعالى النبي ﷺ لِيُتمِّمَ محاسنَ ومكارم وصالح الأخلاقِ الَّتي جبَلَ اللهُ عليها عِبادَه؛ مِن الوفاءِ والمُروءةِ، والحياءِ والعِفَّةِ، فيَجعَلُ حَسَنَها أحسَنَ، ويُضيِّقُ على سيِّئِها ويَمنَعُه.

قال النووي-رحمه الله-:" قال العلمـاء: معـنى كلام خديجة -رضي الله عنهــا- أنك لا يُصــيبك مكــروه، لما جعل الله فيك من مكــارم الأخلاق، وكــرم الشــمائل، وذكـــرت ضـــروبًا من ذلـــك، وفى هـــذا دلالة على أن مكــارم الأخلاق، وخصــال الخــير ســبب الســلامة من مصارع السوء ".

حسن الخلق وصية النبي ﷺ:

أخـــرج الإمـــام أحمد والترمـــذي من حـــديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اتَّقِ اللَّهَ حيثُ ما كنتَ، وأتبــعِ السَّــيِّئةَ الحســنةَ تمحُهــا، وخــالقِ النَّاسَ بخلقٍ حسنٍ" (صحيح الترمذي: 1987)(صحيح الترغيب والترهيب: 2655) (صحيح الجامع:97)

قال ابن القيم -رحمه اللــه- في" كتابه الفوائد ص: 75":" جمع النبي ﷺ في هـذا الحـديث بين تقـوى الله وحُسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصـلح ما بينه وبين خلقه، فتقـوى الله تــوجب له محبة الله، وحسن الخلق يــدعو النــاس إلى محبته ".

أخرج ابن حبان والطبراني والحاكم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْــرٍو-رضي الله عنهمــا- أَنَّ مُعَــاذَ بْنَ جَبَــلٍ ﷺ أَرَادَ سَفَرًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي. قَالَ:" اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْــرِكْ بِــهِ شَــيْئًا"، قَــالَ: يَا رَسُــولَ اللَّهِ! زِدْنِي. قَــالَ:" إِذَا أَسَــأْتَ فَأَحْسِــنْ "، قَــالَ: يَا رَسُــولَ اللَّهِ! زِدْنِي. قَــالَ:" اسْــتَقِمْ وَلْتُحَسِّــنْ خُلُقَــكَ ". (صــحيح الجامع:317)

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْبَـزَّارُ وَأَبُو يَعْلَى وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَــالَ:" يَا أَبَا ذَرٍّ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْــلَتَيْنِ هُمَا أَخَــفُّ

عَلَى الظَّهْـرِ وَأَثْقَـلُ فِي الْمِـيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَـا؟ قَـالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" عَلَيْك بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُـولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا". (ضعفه بعض أهل العلم وحسنه الألباني في صحيح الجامع:3927)

حسن الخلق يستجلب قلوب الناس، فيكثر الأحباب، ويقل الأعداء:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(34)وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت:34،35)

قال الماوردي-رحمه الله-:" إذا حسُنت أخلاق الإنسان كثر مُصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصِّعاب، ولانت له القلوب الغضاب ". (أدب الدنيا والدين ص:237)

أحبُّ عبادِ اللَّه إلى اللَّهِ أحسنُهُم خلقًا:

- فقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن أسامة بن شريك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أحبُّ عبادِ اللَّه إلى اللَّهِ أحسنُهُم خلقًا ". (صحيح الجامع:179) (السلسلة الصحيحة:433)

- وعند الإمام أحمد وابن ماجه بلفظ:" كنا جلوسًا عند النَّبيِّ ﷺ كأنما على رؤوسنا الطيرُ ما يتكلم منا مُتكلِّمٌ إذ جاءه أناسٌ فقالوا: من أَحَبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ تعالى؟ قال:" أحسنُهم خُلُقًا ".

(صحيح الترغيب والترغيب: 2652)

- وأخرج أخرجه أبو داود الترمذي والنسائي في" السنن الكبرى" وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك ﷺ قال:" شَهدتُ الأعرابَ يسألونَ النَّبيَّ ﷺ أعلينا حرجٌ في كذا أعلَينا حرجٌ في كذا فقالَ لَهم عبادَ اللَّهِ وضعَ اللَّهُ الحرجَ إلَّا منِ اقترضَ من عِرضِ أخيهِ شيئًا فذاكَ الَّذي حُرِجَ فقالوا يا رسولَ اللَّهِ هل علينا جناحٌ أن لا نتداوى قالَ تداوَوا عبادَ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ سبحانَهُ لم يضع داءً إلَّا وضعَ معَهُ شفاءً إلَّا

الْهرمَ قالوا: يا رسـولَ اللَّهِ! ما خـيرُ ما أعطِيَ العبـدُ؟ قالَ:" خُلُقٌ حسنٌ ". (صحيح ابن ماجه: 2789) (صحيح الأدب المفرد: 223)(صحيح الجامع:3321)

حسن الخلق من كمال الإيمان:

- أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : " أكْمَلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا. وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم ".(صحيح الترمذي: 1162)(صحيح الجامع: 1128)

يقول ابن القيم- يرحمه الله-:" الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين ". (مدارج السالكين:٢/ ٢٩٤)

- وفي رواية:" أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا، وخيارُكم خيارُكم لأهلِه ". (صحيح الجامع: 1230)

وقوله:"ـ أكمَلُ المؤمنينَ إيمانًا"، أي: أكثرُهم اتِّصافًا بصِفاتِ الإيمانِ ومِن أكثرِهم تزوُّدًا مِن الطَّاعاتِ، "أحسَنُهم خُلقًا"، أي: الَّذي يَمتَثِلُ بالخلُقِ الحسَنِ بينَ النَّاسِ جميعًا، فيُحسِنُ خلُقَه مع اللهِ عزَّ وجلَّ بالرِّضا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، والصَّبرِ والحَمدِ في البلاءِ، والشُّكرِ عندَ النِّعمةِ، ويكونُ حَسَنَ الخلُقِ مع النَّاسِ بكفِّ الأذى عنهم، وطَلاقةِ الوجهِ، والإحسانِ إليهم، وبَذْلِ العَطاءِ فيهم، مع الصَّبرِ على أذاهم؛ فكمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلقِ، والإحسانَ إلى النَّاسِ كافَّةً. (الدرر السنية)

- أخرج الطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله :

" أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، الموَطَّؤون أكنافًا، الذين يألَفون ويُؤلَفون، ولا خيرَ فيمن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ ". (صحيح الجامع:1231)

- وأخرج محمد بن نصر المروزي في" تعظيم قدر الصلاة" والطبراني في الكبير من حديث ابن عمرو-

رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" أفضلُ المؤمنينَ إسلامًا من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه، وأفضلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا؛ وأفضلُ المهاجرين من هجر ما نهى اللهُ تعالى عنه، وأفضلُ الجهادِ من جاهد نفسَه في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ ".
(صحيح الجامع: 1129)(السلسلة الصحيحة:1491)

- وأخرج ابن ماجه والطبراني في الكبير والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث ابن عمرو-رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" خيرُ الناسِ ذُو القلبِ المخمُومِ[1] واللسانِ الصَّادِقِ، قِيلَ: ما القلبُ المخمُومِ؟ قال: هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ الذي لا إِثْمَ فيه ولا بَغْيَ ولا حَسَدَ. قِيلَ: فَمَنْ على أثَرِهِ؟ قال: الَّذي يَشْنَأُ الدُّنيا، ويُحِبُّ الآخِرةَ. قِيلَ: فمَنْ على أثَرِهِ؟ قال: مُؤمِنٌ في خُلُقٍ حَسَنٍ ".
(صحيح الجامع:3291) (السلسلة الصحيحة:948)

- أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمرو-رضِي الله عنهما- قال:" لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ فَاحِشًا[2] ولَا مُتَفَحِّشًا، وكانَ يقولُ: إنَّ مِن خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقًا ".

- أخرج الإمام أحمد والبخاري في" الأدب المفرد" وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خيرُكم إسلامًا أحاسِنُكُمْ أخلاقًا إذا فَقُهُوا ".
(صحيح الجامع: 3312)

- أخرج الإمام مسلم وأحمد واللفظ له من حديث النواس بن سمعان الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله

---

[1]- ذُو القلبِ المخمُومِ: أي: سَليمِ القَلبِ نَظيفِه، وهو مِن تَخميمِ البَيتِ، أي: كَنْسِه وتَنظيفِه، والمعنى: أن يكونَ قلبُه نَظيفًا خاليًا مِن سيِّئِ الأخلاقِ، كما جاء تفسير ذلك في تتمة الحديث.
[2]- الفُحشُ: زِيادةُ الشَّيءِ على المألوفِ مِن مِقْدارِه. والمُتفحِّشُ: الَّذي يَتكلَّفُ ذلك ويَتعمَّدُه؛ لفَسادِ حالِه، وقد يكونُ المُتفحِّشُ الَّذي يَأْتي الفاحشةَ.

ﷺ:" البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ ما حاكَ في صدْرِكَ[3]، وكرِهْتَ أنْ يَطلِعَ عليه الناسُ ".(صحيح الجامع: 2880)

- أخرج الإمام مسلم من حديث النواس بن سمعان الأنصاري ؓ قال:" أَقَمْتُ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمَدِينَةِ سَنَةً ما يَمْنَعُنِي مِنَ الهِجْرَةِ إلَّا المَسْأَلَةُ، كانَ أَحَدُنَا إذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن شيءٍ، قالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ ".

ذَكَرَ النبي ﷺ أنَّ أعظَمَ خِصالِ البِرِّ أوِ البِرَّ كلَّه مُجْمَلًا هو حُسنُ الخُلقِ مَع النَّاسِ، ويكونُ حُسنُ الخُلُقِ مع النَّاسِ بكَفِّ الأذى عنهم، وبَذلِ الخَيرِ الدِّينيِّ والدُّنيويِّ لهم، وطَلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على أذاهم.

ثمَّ بَيَّن له النَّبيُّ ﷺ أنَّ الإثمَ هو ما تَردَّدَ وتحرَّكَ وأَثَّرَ في النَّفْسِ بأنْ لم تَنشرِحْ له، وحلَّ في القلبِ منه الشَّكُّ والخوفُ مِن كونِه ذَنْبًا وأَقْلَقَه ولَمْ يَطمئِنَّ إليه، وكَره أنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ؛ لأنَّه محلُّ ذمٍّ وعَيْبٍ، فَتجدُك مُتردِّدًا فيه، وتَكرَهُ أنْ يطَّلِعَ النَّاسُ عَليكَ. وهذه الجُملةُ إنَّما هي لِمَنْ كانَ قَلبُه صافيًا سليمًا؛ فهذا هو الَّذي يَحُوكُ في نَفسِه ما كان إثمًا ويَكرهُ أنْ يطَّلعَ عليه النَّاسُ، أمَّا مَن فَسَدَ قَلبُه وانتَكَسَت فِطرتُه، فقدْ يَنشرِحُ صَدرُه للآثامِ، ويُجاهِرُ بها. والأصلُ أنَّ البِرَّ اسمٌ جامِعٌ لكُلِّ مَعاني الطَّاعةِ، والإثْمَ: اسمٌ جامِعٌ لكُلِّ أنواعِ المَعاصي. (الدرر السنية)

- أخرج الإمام أحمد والبزار وابن حبان من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألَا أُنَبِّئُكم

---

[3]- حاكَ في صدْرِكَ: أي تحرك وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشكُّ وخوف كونه ذنبًا.

بخِيـارِكم؟ قـالوا: بلى يا رسـولَ اللـهِ. قـال: خِيـارُكم أطـوَلُكم أعمـارًا، وأحسَـنُكم أخْلاقًا ". (قـال شـعيب الأرناؤوط في تخريج المسند: صحيح لغيره)

- وأخرج الطبراني من حديث عمير بن قتادة الليثي أنَّ رجلًا قـال: يا رسـولَ اللـهِ! أيُّ الصَّـلاةِ أفضـلُ؟ قال: طولُ القنوتِ. قال: فأيُّ الصَّدقةِ أفضـلُ؟ قـال: جُهـدُ المقِـلِّ. قـال: أيُّ المؤمـنين أكمـلُ إيمانًا قـال: أحسنُهم خُلقًا[1] ".

- أخـرج البخـاري في" التـاريخ الكبـير" والـبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة قال: قال رسـول الله : " ما عمـلَ ابنُ آدمَ شـيئًا أفضـلَ من الصلاةِ، وصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وخُلُقٍ حَسَـنٍ ". (السلسـلة الصحيحة: 1448)

- أخـرج البخـاري في" التـاريخ الكبـير" والـبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي هريرة قال: قال رسـول الله :"ما عُمِـلَ شـيءٌ أفضَـلُ مِنَ الصَّـلاةِ، وصَـلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وخُلُـقٍ جـائزٍ بينَ المُسـلِمينَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 2816)

- أخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصـامت قـال: قـال رسـول الله : " بينما أنا عند رسولِ اللهِ إذا جاءه رجلٌ فقال يا رسـولَ اللـهِ! أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال:" إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سـبيلِه، وحجٌّ مـبرورٌ"، فلمَّا ولَّى الرَّجـلُ قـال:" وأهـونُ عليك من ذلك: إطعامُ الطَّعامِ، ولينُ الكلامِ، وحُسْـنُ الخلـقِ "، فلمَّا ولَّى الرَّجـلُ، قـال:" وأهـوَنُ عليك من ذلك: لا تتَّهمِ اللهَ على شيءٍ قضاه عليك ". (صـحيح الـترغيب والترهيب: 1307)

---

[1] - فيه سويد بن إبراهيم ولا بأس به في المتابعات.

- أخرج الطبراني في" المعجم الكبير" من حديث أُسَامَة بن شريك قال: قال رسول الله : " إنّ النَّاس لمْ يُعْطَوْا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ". (صحيح الجامع:1977)

وقوله: " إنّ النَّاس لمْ يُعْطَوْا" بالبناء للمفعول" شَيْئًا" من الخصال الحميدة " خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ" بالضم " حَسَنٍ" فإن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى درجات الأخيار في هذه الدار ودار القرار. قال شيخ الإسلام: لا سبيل إلى السعادة الأخروية إلا بالإيمان وحسن الخلق فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وأفضل زادها بعد الإيمان حسن الخلق وبحسن الخلق ينال الإنسان خير الدنيا والآخرة.

- وأخرجه ابن ماجه بلفظ:" خَيرُ ما أُعْطِيَ الناسُ خُلُقٌ حَسَنٌ ". (صحيح الجامع: 3321)

حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم:

- أخرج أبو داود وابن حبان عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسولُ اللهِ : "إنَّ المُؤمِنَ ليُدرِكُ بحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصَّائمِ القائمِ". (صحيح الجامع:1932) (صحيح الترغيب والترهيب: 2643)

- وأخرج الطبراني في" المعجم الكبير" من حديث أبو أمامة الباهلي قال: قال رسول الله : " إنّ الرجلَ ليُدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه درجةَ القائمِ بالليلِ، الظامئِ بالهواجِرِ". (صحيح الجامع: 1621)

- وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قال: قال رسول الله :" إنّ الرجلَ ليُدرِكُ بحُسنِ خُلُقِه درجات قائمِ الليلِ، صائمِ النهارِ". (صحيح الجامع: 1620)

- وأخرج البزار من حديث أنس قال: قال رسول الله :" إنَّ أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وإنَّ حُسنُ الخُلُقِ ليُبَلِّغُ دَرَجَةَ الصَّوْمِ والصَّلاةِ ". (صحيح الجامع: 1578) (السلسلة الصحيحة:1590)

- وأخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله :" إنَّ اللهَ ليُبَلِّغُ العبدَ بحسنِ خلقِهِ دَرَجَةَ الصَّوْمِ والصَّلاةِ ". (صحيح الترغيب والترهيب:2645) (صحيح الجامع:1932)

- وأخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو-رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله :"

إِنَّ المسلِمَ المسَدَّدَ[1] لَيُدْرِكُ[2] درجَةَ الصوَّامِ القَوَّامِ بآياتِ اللهِ[3]، بِحُسْنِ خُلُقِهِ وكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ ". (صحيح الجامع:1949) (السلسلة الصحيحة:522)

حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار:

- فقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقي في " معرفة السنن والآثار" من حديث عائشة -رضِي الله عنها- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّهُ مَن أُعْطيَ حظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقَدْ أُعْطيَ حظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخِرةِ، وصلةُ الرَّحمِ، وحُسنُ الخُلُقِ وحُسنُ الجِوارِ، يُعمِّرانِ الدِّيارَ، ويَزيدانِ في الأعمارِ ". (السلسلة الصحيحة: 519) (صحيح الجامع:3767)

حسن الخلق أثقل عبادة في الميزان:

- فقد أخرج الترمذي من حديث أبي الدرداء ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما مِن شيءٍ يوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخلقِ، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلقِ ليبلُغُ بِهِ درجةَ صاحبِ الصَّومِ والصَّلاةِ ". (الترمذي:2003) (صحيح الجامع:5726)

- وعند الإمام أحمد بلفظ:" ليس شيءٌ أثقلُ في الميزانِ من الخُلُق الحسن ". (صحيح الجامع:5390)

- وأخرج الترمذي وأبو داود وأحمد من حديث أبي الدرداء ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمِنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ليُبغِضُ الفاحشَ البَذيَّ ". (صحيح الترمذي:

[1]- إنَّ المُسْلِمَ المُسدَّدَ: والمرادُ بالمسدِّدِ المُقتصِدُ والمُعْتدِلُ في أُموره، أو هو المُوفَّقُ الذي وفَّقه ربُّه لحُسْنِ الخُلُقِ، وطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وطاعةِ رسولِهِ ﷺ، أو هو المستقيم على طاعة الله تعالى.

[2]- لَيُدْرِكُ: أي: يبْلُغُ.

[3]- دَرجةَ الصَّوَّامِ القَوَّامِ بآياتِ اللهِ: أي مَن يُداوِمُ على صوْمِ النَّهارِ وقِيامِ اللَّيْلِ بالقُرْآنِ، وذلك بحُسْنِ خُلُقِهِ.: هي السجية والطبيعة. وكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ: بفتح الضاد المعجمة؛ أي حسن طبيعته وسجيته. أي أنَّ طبيعتَهُ كريمةٌ وسمحةٌ وسهلةٌ.

2002)ـ (صـحيح الجـامع:5632-5721) (السلسـلة الصحيحة:876)

- وأخـرج ابن حبـان من حـديث أبي الـدرداء قـال: قال رسول الله : " أثقلُ شـيءٍ في المـيزانِ، الخلقُ الحسنُ ". (صحيح الجامع:134)

- وأخــرج الــبيهقي في" الســنن" من حــديث أبي الدرداء قال: قـال رسـول الله : " أثقـلُ شـيءٍ في مــيزانِ المــؤمن خلُــقٌ حسنٌ، إنَّ اللَّهَ تعــالى يُبغِضُ الفاحشَ المتفحشَ البَذيءَ ". (صحيح الجامع:135)

حسن الخلق يجنب المسلم منزلة السوء يوم القيامة:

- فقد أخرج البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله : " إن شـرَّ النـاسِ عند اللـهِ منزلـةً يـومَ القيامـةِ من تركَه النـاسُ اتقـاءَ شرِّه ".

حسن الخلق يحفظ على المسلم حسناته ويجنبه الإفلاس يوم القيامة:

- فقد أخرج الإمام مسـلم من حـديث أبي هريـرة قال: قال رسول الله : " أتدرون ما المفلِسُ؟ قالوا: المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متــاعَ. فقــال: إنَّ المفلسَ من أمَّتي، يأتي يـومَ القيامـةِ بصـلاةٍ وصـيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شـتم هـذا، وقـذف هـذا، وأكل مـالَ هـذا، وسـفك دمَ هـذا، وضـرب هـذا. فيُعطَى هـذا من حسناتِه وهـذا من حسـناتِه. فـإن فَنِيَتْ حسـناتُه، قبل أن يقضيَ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُـرِحت عليـه. ثمَّ طُرِح في النَّارِ".

حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة:

- فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة قال: "سُئِلَ رسولُ اللهِ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ؟ فقال: "تَقْوَى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ"، وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ، قال: "الفَمُ والفَرْجُ". (صحيح الترمذي:1630) (صحيح الترغيب والترهيب:2642)

بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه:

- فقد أخرج أبو دواد عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسولُ اللهِ : "أنا زعيمٌ[1] بِبيتِ في رَبَضِ الجنةِ[2] لمَن تَرَكَ المِراءَ[3] وإن كان مُحِقًّا، وبِبيتِ في وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمَن حَسُنَ خُلُقُه". (صحيح الجامع: 1464) (السلسلة الصحيحة:273)(صحيح أبي داود: 4800)

حسن الخلق سبب في القرب من الرسول :

- فقد أخرج الترمذي من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ : "إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا، وإنَّ مِن أبغضَكِم إليَّ وأبعدَكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ[4]، والمتشدِّقونَ[5]، والمتفيهِقونَ[6]، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! قد علِمنا

---

[1]- أنا زَعِيمٌ: أي: ضامِنٌ وكفيلٌ.

[2]- في رَبَضِ الجنَّةِ: هو ما حولها، خارجًا عنها. أي: نواحِيها وأطرافِها. (النهاية لابن الأثير:2/185)

[3]- المراء: أصله من مريت الناقة، إذا استخرجت ما في ضرعها، والمراء: هو المنازعة في القول والعمل بقصد الباطل، فإذا كان بقصد الحق فهو الجدال.

[4]- الثَّرثارون: الَّذين يُكثِرون الكَلامَ ويتَكلَّفون فيه بغيرِ حقٍّ بالسَّجعِ والحَشْوِ وغيرِه، ويُردِّدونه كثيرًا،

[5]- المتشدِّقون: الَّذين يتَوسَّعون في الكلامِ، ويَلْوون ألسِنتَهم به، ويَفتخِرون به بغيرِ حقٍّ، وقيل: معناه: الَّذين يَستهزِئون بالناسِ بلَيِّ أشْداقِهم، والشِّدقُ هو جانِبُ الفم.

[6]- المتفيهِقون: مِن الفَهْقِ وهو الامتِلاءُ والاتِّساعُ، أي: الَّذين يتَوسَّعون في الكلامِ ويَفتَحون به أفواهَهم وهذا لكِبْرِهم ورُعونتِهم.

الثَّرثـــارينَ والمتشـــدِّقينَ فما المتفيهِقــونَ؟ قـــالَ: المتَكَبِّرونَ". (صـــحيح الجـــامع:2201) (السلســـلة الصحيحة:791)

- وأخــرجَ الإمــام أحمد وابن حبــان من حــديث أبي ثعلبة الخشني قال: قـال رسـول الله : " إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي في الآخـرةِ محاسـنُكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضَـكم إليَّ وأبعـدَكم منِّي في الآخــرةِ؛ أسـاوِئُكم أخلاقًا الثَّرثارونَ المُتَفْيهِقونَ المُتشدِّقونَ ".

- وأخــرجَ الحــارث في" مسـنده" والخـرائطي في" مكـــارم الأخلاق" من حـــديث ابن عبـــاس-رضِـــي الله عنهما- قال: قال رسـول الله : " خيـارُكم أحاسـنُكم أخلاقًــا، الموَطَّؤونَ أكنافًــا، وشـــرارُكم الثَّرثــارونَ، المتفَيهِقُونَ، المتشدِّقونَ ". (صحيح الجامع: 3260)

- وأخـرجَ الطـبراني من حـديث أبي هريـرة قـال: قال رسول الله : " إن أحبكم إليّ أحاسـنكم أخلاقًـا، الموطـؤون أكنافًا[1]، الـذين يـألفون ويؤلفـون، وإن أبغضــكم إليّ المشــاءون بالنميمــة، المفرقــون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب ".

- أخـرجَ البخـاري ومسـلم من حـديث عبد الله بن عمرو -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله : " إنَّ من أحبِّكم إليَّ أحســــنُكم أخلاقًا ". (صـــحيح الجامع: 2200)

[1]- الموطؤون أكنافًا: الكنف: هو جانب البهيمة، ودابة موطـأة الكنـف: أي يركبها صاحبها بسهولة
ويقال للفراش: هذا فـراش وطئ، أي عنـدما تنـام عليه لا يـؤذي جنبـك، فكـذلك الإنسـان المـؤمن عنـدما تميل عليه لا يؤذيك أبـدًا، ويكـون حسن الخلق.

- وأخرج البخاري ومسلم وأحمد من حـديث عبد الله بن عمرو -رضِـي الله عنهمـا- قـال: قـال رسـول الله ﷺ:" ألا أُخبركم بأحبِّكم إليَّ وأقربِكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ؟ فأعادها مرتَين أو ثلاثًا. قالوا: نعم يا رسـولَ اللـــهِ! قـــال: أحســـنُكم خُلُقًا ". (صـــحيح الـــترغيب والترهيب: 2650)

- وأخرج ابن عساكر من حـديث أبي هريـرة ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ:" إنَّ أقـــربِكُم منِّي مـــنزلًا يـــومَ القيامةِ: أحاسنَكُم أخلاقًا في الدنيا ". (صحيح الجامع: 1573)

شهادة الناس بالخير لمن حسن خلقه سبب في دخول الجنة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله : " مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيرًا، فقال نبيُّ الله : "وجَبَت، وجبَت، وجبَت"، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شرًّا، فقال نبيُّ الله : "وجبَت، وجبَت، وجبت"، قال عمرُ: فِدًى لك أبي وأمي، مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيرًا فقلتَ: وجبت، وجبت، وجبت، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شرًّا فقلتَ: وجبَت، وجبَت، وجبت؟ فقال رسولُ الله : "مَن أثنيتُم عليه خيرًا وجبَت له الجنةُ، ومن أثنيتُم عليه شرًّا وجبت له النارُ؛ أنتم شهداءُ الله في الأرض، أنتم شهداءُ الله في الأرض، أنتم شهداءُ الله في الأرض ".

الدعاء بطلب حسن الخلق:

قال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (البقرة:186)

لذا فإن أهم سبب للتحلي بحسن الخلق هو الإلحاح في الدعاء والرجاء من الله تعالى لكي يرزقنا حسن الخلق،

فقد أخرج ابن حبان عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسولُ اللهِ :" اللَّهُمَّ حَسَّنتَ خَلْقِي فَحَسِّن خُلُقِي ". (صحيح الجامع:1307).

وقال بعض الحكماء: لحسن الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، ولسيء الخلق من نفسه في عناء، والناس منه في بلاء.

وقال بعضهم: عاشر أهلك بحسن الأخلاق، فإن السوء فيهم قليل، وإذا حسنت أخلاق المرء كثر

مصادقوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب ".

وقال الحكماء:" في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ".

قال الماوردي-رحمه الله-: وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلام ".

ثالثًا: فضل وفوائد وثمرات المراقبة:

والمُرَاقَبَةُ: هِيَ استدامةُ عِلْمِ العبد باطلاع الرَّب عليه في جميع أحواله. (التعريفات لعبد القادر الجرجاني ص:210)

قَالَ ابنُ القيم-رَحِمَهُ اللهُ-:" الْمُرَاقَبَةُ: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَاسْتَدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ، وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وَكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ ". (مدارج السالكين:2/65)

وحقيقة المراقبة: أن يكون العبد على علم ويقين أن الله تعالى ناظر إليه، سامع لقوله، مطلع على ظاهره وباطنه، عالم بسره وعلانيته، لا يخفى عليه شيء من أقواله وأفعاله، لا يغيب عنه شيء من أحواله وخواطره.. فهو سبحانه وتعالى العليم الخبير، السميع البصير، الرقيب الشهيد ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد: 4).

قَالَ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

قَالَ ابن كثير-رَحِمَهُ اللهُ-:" وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أَيْ: هُوَ مُرَاقِبٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ". (تفسير ابن كثير:2/206)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة:7)

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس:61)

وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة سبأ:3)

قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(سورة الأنعام:3)

وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الأنعام: 59)

فهو سبحانه يعلم مثاقيل الجبال، وعدد الرمال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار.

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة غافر:19)

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الملك:13)

فمن تكلم.. علمَ الله تعالى نطقَه، ومن سكت.. علم الله عز وجل فِكرَه، ومن أسرّ.. أحاط الله بسريرته، وعلم ما يجول في خاطره.

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (القصص:69).

قَالَ الطبري-رَحِمَهُ اللهُ-:" وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي صُدُورُ خَلْقِهِ؛ وَمَا يُبْدُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ ". (تفسير الطبري:18/303).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (النحل:19)

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة:1)

قالت عائِشةَ -رَضِيَ اللهُ عنها- في قِصَّةِ المجادَلَة:" تبارك الذي وَسِعَ سَمْعُه الأصواتَ كلها ". (أخرجه الإمام أحمد)

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فلو علم كل إنسان منا أن الله تعالى يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع كلامه، لراقبه في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته.

والذي يستحضر مراقبة الله عز وجل لا يتجرأ على محارمه، ولا يُسرف في معصيته، لأنه على يقين أن الله يسمعه ويراه، فيخاف من الله، ويستحيي منه، ويبتعد عما حرمه الله في سره وعلانيته، وظاهره وباطنه، فيما بينه وبين خالقه، وفيما بينه وبين خلق الله، وهذه وصية النبي ﷺ لأمته: فقد أخرج الترمذي عَنْ أَبِى ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"ـ اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ".

فنحن مأمورون بمراقبة الله تعالى على كل حال.

من أقوال السلف الصالح في المراقبة:

1- قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : " لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ تَلْعَنَهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، يَخْلُو بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَيُلْقِي اللَّهُ لَهُ الْبُغْضَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص: 162).

2- قال سهل-رحمه الله-:" لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان".

3- وقال سفيان الثوري-رحمه الله-:" عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة ".

4- وقال ابن المبارك- رَحِمَهُ اللهُ- لرجل: راقبْ الله تعالى، فسأله عن تفسيره، فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله عز وجل ". (إحياء علوم الدين:4/397).

5- وقال فرقد السبخي-رحمه الله-:" إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله عز وجل ".

قال تعالى: يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (النساء: 108)ـ أي: يستترون من الناس خوفًا من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيون منه، وهو عزَّ شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يدبِّرون ليلا ما لا يرضى من القول، وكان الله تعالى

محيطًا بجميع أقـوالهم وأفعـالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

وكم ذي معاص نال منهن لذة ومات فخلاّها وذاق الدواهيا
تصرمُ لذّات المعاصي وتنقضي وتبقى تِباعاتُ المعاصي كما هيا
فيا سوءتا والله راءٍ وسامع لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا

6- قَـالَ سُـلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ -رَحِمَـهُ اللـهُ-:" إِنَّ الرَّجُـلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ، فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ ". (إحياء علوم الدين)

7- يقول ابن الجوزي-رحمه الله-:" راقب من يــراك على كل حال، وما زال نظره إليك في جميع الأفعال، وطهر سرك فهو عليم بما يخطر بالبــال ". (المواعظ لابن الجوزي ص:107)

8- وكتب ابن الســماك الواعظ إلى أخ له فقــال:" أما بعد أوصـــيك بتقـــوى الله الـــذي هو نجيّك في سريرتك ورقيبك، فاجعل الله من بالك على كل حــال في ليلك ونهـارك، وخف الله بقـدر قربه منك وقدرته عليـك، واعلم أنك بعينه ليس تخـرج من سـلطانه إلى سـلطان غـيره، ولا من ملكه إلى ملك غـيره، فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك، والسلام ".

9- وقــال محمد بن علي الترمــذي -رحمه اللــه-:" اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظــره إليــك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمة عنــك، واجعل طاعتك لمن لا تسـتغني عنــه، واجعل خضـوعك لمن لا تخـرج عن ملكه وسلطانه ". (إحياء علوم الدين)

10- وقـال حـاتم الأصم-رحمه اللـه-:" تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت، فـــــــاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت، فاذكر سمع الله منك، وإذا سكت، فـاذكر علم الله فيك ". (سير أعلام النبلاء)

الْمُرَاقَبَةُ تجعلُ المسلمَ يَصِلُ إلى درجة الإحسان:

ففي الحــديث الــذي أخرجه البخــاري ومســلم من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْـدَ رَسُـولِ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَـدِيدُ سَـوَادِ الشَّـعَرِ، لاَ يُـرَى عَلَيْـهِ أَثَـرُ السَّـفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِي فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْـهِ، وَقَـالَ يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :"ـ الإِسْـلاَمُ: أَنْ تَشْــهَدَ أَنْ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُــولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِىَ الزَّكَـاةَ، وَتَصُـومَ رَمَضَـانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا "، قَـالَ: صَـدَقْتَ، قَـالَ: فَعَجِبْنَا لَــهُ يَسْــأَلُهُ وَيُصَــدِّقُهُ، قَــالَ: فَــأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ وَتُـؤْمِنَ بِالْقَـدَرِ خَيْـرِهِ وَشَـرِّهِ "، قَـالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَـانِ؟ قَـالَ: أَنْ تَعْبُـدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...ـ الحديث. وفي آخره قَالَ: " فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ".

- **فالإحســـان معنـــاه مراقبة الله تعـــالى في السر والعلن.**

والمحسنون هم الســابقون بـالخيرات المتنافســون في فضــائل الأعمـــال. و﴿هَــلْ جَــزَاءُ الْإِحْسَــانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾

(الرحمن: 60)

فالمحسِـنُونَ همُ الفَـائِزون بمحبَّةِ اللــهِ جــلَّ وعلا: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: 134)

والمحسِنُونَ همُ المنتفِعونَ بآيـاتِ القُـرآنِ العَظيمِ:
﴿الم(1) تِلْـكَ آيَـاتُ الْكِتَـابِ الْحَكِيمِ(2) هُـدًى وَرَحْمَـةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (لقمان:1-3)

والمحسِنُونَ يعطيهم الله ما يشـاءون يـوم القيامة:
﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْـدَ رَبِّهِمْ ذَلِـكَ جَـزَاءُ الْمُحْسِـنِينَ ﴾ (الزمر: 34)

والمحسِنُونَ أجرُهُم محفُوظٌ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: 120)

والمحسِنُونَ لا يَزالونَ مُبشَرِينَ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِــنِينَ ﴾ (الحج: 37)

والمحسِــــنُونَ مَوعُـــــودُونَ بالمزيد: ﴿وَسَـــــنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: 58)

لو لم يكن للمحسنين من فضل إلا الفوز بمعية الله لكفى بها من فضل.

قــال تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَـعَ الَّذِينَ اتَّقَـوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: 128).

وكذلك الإحسان سبيل للفوز برحمة الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِــنِينَ﴾ (الأعراف:56)

يقـول الإمـام ابن القيم-رحمه اللــه- في تفســيره القيم ص:258:" وإنما اختص أهل الإحســـان بقـــرب الرحمة منهم؛ لأنها إحسـان من الله أرحم الـراحمين، وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسـان، لأن الجـزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته. وأما من لم يكن من أهل الإحســـان فإنه لما بَعُد عن الإحسـان بَعُـدت عنه الرحمة بُعـدًا ببعـدٍ وقربًا بقرب، فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحمتـه، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته ". اه

والمحسِنُونَ لهم مَوعِدٌ مع رُؤيــةِ رَبِهم في الجنَّةِ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ (يونس: 26)

المراقبة سبب في صلاح الأفراد والمجتمعات:

فمراقبة الله عز وجل تحــيي القلــوبَ المَــوات، وتوقـظُ الضّـمائِرَ مِنَ السّـباتِ، وتحَـرِّكُ في الإِنسـانِ دَوَاعِيَ الخَيْـرِ، وتُمِيتُ فِيـهِ نَـوازِعَ الشر. فالإنسـان لا يخطو خطــوة إلا وهو يســأل نفســه؛ هل هـذا العمل يرضي الله أم لا؟ فهو دائما يـــــراقب الله في جميع حركاته وسـكناته وخطواته ولحظاته وخطواتــه، ومن راقب الله فــإن ذلك يكــون باعثًا له على خشــية الله في السر والعلن، وتلك الخشــية تكــون حاديًا له على العمل بطاعة الله خوفا من عقابه وطمعًا في جنتـــه. وبهذا ينصلح حال الأفراد والمجتمعات.

والذي يستحضر مراقبة الله عز وجل، لا يقصّـر في عملــه، ولا يغش في وظيفتــه، بل يجتهد في إتقــان عمله والنبي يخبرنا أن الله عز وجل يحب من عباده أن يتقنـوا أعمـالهم ويحسـنوها، فقد أخـرج الـبيهقي عَنْ عَائِشَـةَ -رضي الله عنهـا- أَنَّ النَّبِيَّ قَـالَ:" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِـلَ أَحَـدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَـهُ ". (صـحيح الجامع: 1880) (الصحيحة:1113)

والمراقبة تعمل في الإنسان ما لم تستطيع قوانين الدنيا أن تفعله في الإنسان الذي غـابت عنه المراقبة فتراه يهرب من عقوبة الجريمة التي ارتكبهـا، ويبحث عن ثغـرات في القـانون حـتى تسـقط عنه العقوبـة، لكن الإنســان الــذي يــراقب الله عز وجل إذا ما وقع في جريمة فــإن إيمانه يقــوده إلى أن يعــترف على نفسه، ويطلب القصاص من نفسه حتى يفوز بمغفرة الله ورضوانه، كما حدث مع ماعز الأسـلمي والغامدية

-رضي الله عنهمــا- فكل منهما أعــترف على نفســه، والــذي دفعهم لهــذا هي مراقبة الله تعــالى. والــتي تســـقط أمامها رقابة البشـــر، فـــإن مراقبة البشر قاصرة، فالبشر يغفل وينام، ويسهو وينسى.

المراقبة تجعل الإنسان يحسن في عبادته:

- فالمراقبة تجعَــلُ الإنســان يتَوضَّــأ للصــلاة دون رَقيبٍ من البشـر؟ ولو دخَل الصـلاةَ بلا وُضـوء ما علم أحدٌ.

- والمراقبة هي التي تجعلُ الإنسان يُصلِّي ويـأتي بأركـــان الصــــلاة وواجباتها دُون إخلالٍ بشــــيءٍ من شُروطها، ولو دخَل الصلاة ولم يتلفَّظ بالأذكار ما علم أحدٌ.

- والمراقبة هي التي تجعَلُ الإنسـان يصـومُ طاعـةً لله، والصـوم عبـادة سـريَّة بين العبد وربِّ البريَّة، ولو أفطر ما علم أحدٌ.

- والمراقبة هي الـتي تجعـلُ الإنسـان يُخـرِجُ زكـاة ماله طيِّبة بها نفسُه، ولو أمسَكَها ما عَلِمَ به أحدٌ.

- والمراقبة هي التي تجعلُ الإنسـان لا يعصي الله في خَلواتــه، ولو فعَل معصـــيةً في السر لم يعلمْ به أحد.

- والمراقبة هي الــتي تجعَـلُ الإنسـان يخلصُ في أعماله كلها.

مراقبة الله تقي الإنسان من الوقوع في المعصية أو الفاحشة:

فمراقبة الله في السر والعلن دليل على قـــــــوة إيمان العبد بالله عز وجل، وباسمه الـرقيب الـذي هو اسم من أسـمائه الحسـنى الدالة على عظمته وجلاله وكمالــه، فهو الــرقيب الــذي لا يغيب عنه شــيء من أمـور خلقـه، الحفيظ الـذي لا يَغفُـل، الحاضر الـذي لا يَغيب، العليم الذي لا يَعزب عنه مثقال ذرة من أحوال خلقه، يـرى أحـوال العبـاد، ويُحصي أعمـالهم، ويُحيط بمكنونات سرائرهم، فهو مطلع على الضمائر، شــاهد على الســــرائر، يعلم ويـــــرى، ولا يخفى عليه السر والنجوى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

وقـــال عز وجل عن نبيه عيســـى-عليه الســـلام-: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَـــهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَـــوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَـهِيدٌ﴾ (المائدة:117)

وقال تعـالى: ﴿ يَـوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة:6)

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَـرَى﴾ (العلق: 14) تنبيه على أن العبد إذا علم أن ربه يــراه اســتحى من ارتكاب الذنب.

وقد سُئِلَ الْجُنَيْدُ -رَحِمَهُ اللهُ- بِمَ يُسْـتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصَـرِ؟ قَـالَ:" بِعِلْمِـكَ أَنَّ نَظَـرَ اللَّهِ إِلَيْـكَ أَسْـبَقُ مِنْ نَظَـرِكَ إِلَى مَا تَنْظُـرُهُ ". (جـامع العلـوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص:162).

يا مدمن الذنب أما تستحي	والله في الخلوة ثانيكا
غرّك من ربك إمهاله	وستره طول مساويكا

وقـــال حميد الطويل لســـليمان بن عليّ: عظـــني، فقال: لئن كنت إذا عصـيت الله خاليًا ظننت أنه يـراك لقد اجـــــترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت ".

وقد قيل لحـــاتم الأصـــم-رحمه اللـــه-: بما حققت التوكل على اللـه؟ قـال: بـأربع خصـال:" علمت بـأن رزقي لا يأخـذه غـيري فـاطمئن قلـبي، وعلمت بـأن عملي لا يتقنه غــيري فاشــتغلت بــه، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية، وعلمت

أن الموت ينتظرني فأعدت الزاد للقـاء الله تعـالى ". (رواه البيهقي في" الشعب" وأبو نعيم في" الحلية")

ولما غاب هذا الأصل الأصيل تجرئ بعض المسلمين على رب العالمين، فإذا غابوا عن أعين النـاس وخلـوا بأنفسهم تجـرؤا على محـارم الله فانتهكوهـا، فضـاع منهم أعز ما يملكون، ضـاعت الحسـنات في وقت هم أحوج فيه إلى حسنة.

فقد أخرج ابن ماجه من حـديث ثَوْبَـانَ قـال: قـال رسـول الله :"ـ لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَـأْتُونَ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَـنَاتٍ أَمْثَـالِ جِبَـالِ تِهَامَـةَ بِيضًـا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَـزَّ وَجَـلَّ هَبَـاءً مَنْثُـورًا "، قَـالَ ثَوْبَـانُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُـونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ، قَالَ:" أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْــلِ كَمَا تَأْخُــذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْــوَامٌ إِذَا[1] خَلَــوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا ". (صحيح ابن ماجه: 3442)

وفي نونية القحطاني:

وإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَفْسُ دَاعِيَةٌ إِلى الطُغْيَانِ

فاسْتَحْيْ مِنْ نَظَرِ الإلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلاَمَ يَرَانِي

يقـول ابن عبـاس-رضي الله عنهمـا-:" خَوْفُـكَ من الـرِّيحِ إذا حَـرَّكَتْ سِـتْرَ بابِـكَ وأنتَ على الـذَّنبِ، ولا يضطربُ فؤادُكَ منْ نَظَرِ اللـهِ إليـكَ أعظمُ منَ الـذَّنبِ إذا عملتَهُ...".

---

[1] - فالتعبير بـ " إذا " يدلّ على الكـثرة والاسـتمرار، وأن هـذا هو شـأنهم وديدنهم مع محارم الله فجعلوا الله أهـون النـاظرين إليهم. ولفظ" إذا " يدلّ على الكثرة كما في صفة المنافق: إذا حدّث كـذب، وإذا وعد أخلـف، وإذا أؤتمن خان. وهذا كحال المنـافقين الـذين قـال الله عز وجل عنهم: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُـوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُـونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) (النساء: 108)

ولقي رجل أعرابية فأرادها على نفســـها فــــأبت، وقـــالت: أي ثكلتك أمك أمالك زاجر من كـــرم؟ أمالك ناه من دين؟ قـال: والله لا يرانا إلا الكـواكب! قـالت: ها بــــأبي أنت! وأين مكوكبها؟. (رواه الــــبيهقي في الشعب)

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً وَلا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيْبُ

نماذج مشرقة في سماء المراقبة:

يوسف-عليه السلام-:

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق من العفاف أعظم ما يكون فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه كان شابًا والشباب مركب الشهوة، وكان عزبًا ليس عنده ما يعوضه وكان غريبًا عن أهله ووطنه والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم فإذا تغرب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك وكانت هي المطالبة، فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بغتة وأتته بالرغبة والرهبة. ومع هذا كله فعف لله ولم يطعها وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله ". اه

إنها المراقبة لله التي جعلته يقول: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: 33)

- مراقبة شاب عفيف؛ يقول عنه رجاء بن عمر النخعي-رحمه الله-:

كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد وكان أحد الزهاد فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها مثل الذي نزل به. فأرسل يخطبها من

أبيها فـأخبره أبوها أنها مسـماة لابن عم لها. واشـتد عليهما ما يقاسـيان من ألم الهـوى فأرسـلت إليه الجارية: قد بلغـني شـدة محبتك لي وقد اشـتد بلائي بك لـذلك مع وجـدي بك فـإن شـئت زرتك وإن شـئت سهلت لك أن تأتيني إلى مـنزلي. فقـال للرسـول: لا واحـدة من هـاتين الخصـلتين ﴿إِنِّي أَخَـافُ إِنْ عَصَـيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الزمر:13)

أخـاف نـارًا لا يخبو سـعيرها ولا يخمد لهبها. فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال قالت: وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشـتركون. ثم انخلعت من الـدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسـوح وجعلت تتعبد لله عز وجل ". (كتاب التوابين لابن قدامة)

مراقبة الله وقاية من الغش والمكر والخديعة:

فما انتشر الغش بين النـاس في أعمـالهم، وفشا المكر والتحايل في معـاملاتهم، وعمّ الغـدر والخيانة في علاقاتهم، إلا عندما غابت عن حياة الناس مراقبة الله عز وجـل، وضـعفت في نفوسـهم خشـية الله عز وجل. وأهمّ علاج ودواء لهـذه الآفـات المـدمرة والمنكـرات المهلكة أن يستحضر العبد مراقبة الله عز وجل؛ فالذي يستحضر مراقبة الله تعالى على الدوام، ويعلم علم اليقين أن الله مطلع عليـه، نـاظر إليـه، يُحْصِـي عليه أعمالـه، ويَعُـدّ له أخطـاءه؛ فهـذا يحمله على أن لا يغش، ولا يمكـر، ولا يخـون، ولا يخـادع، بل يسـتحيي من الله ويخـاف من الله أن يـراه وهو يغش في عبادته أو يغش في عمله أو يغش في معاملته. والذي يستحضر مراقبة الله، لا يحتاج إلى مراقبة أحد من النـاس؛ لأن الله تعـالى أعظم في قلبه من كل أحـد، وأكـبر عنـده من كل أحـد، يُتقن عمله ويُحسِـنه،

ويجتنب الغش بجميع صوره وأشكاله، تقربًا إلى اللـه، ومحبة وتعظيمًا لــه، وحيــاءً منــه، وطلبًا لمرضــاته، وخوفا من عذابه.

وهـذا نمـوذج من النـاس غـابت المراقبة عنه فعمد إلى الغش، فنهاه النبي .

فقد أخرج الإمام مسلم من حـديث أَبِي هُرَيْـرَةَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَـدَهُ فِيهَـا، فَنَـالَتْ أَصَـابِعُهُ بَلَلًا، فَقَـالَ:" مَا هَــذَا يَا صَــاحِبَ الطَّعَامِ؟"، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّـمَاءُ يَا رَسُـولَ اللَّهِ، قَـالَ:" أَفَلَا جَعَلْتَـهُ فَـوْقَ الطَّعَـامِ كَيْ يَـرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي ".

فـــالواجب على العبد أن يتقي الله في ســـره وعلانيته، وأن لا يتجرأ على معصية خالقه في خلوتـه، وأن يستحضر دوما أن الله مطلع عليه وناظر إليه.

مراقبة الله سبب لمغفرة الذنوب:

قـال تعـالى: إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَـوْنَ رَبَّهُم بِـالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (سورة الملك:12)

قــال الســعدي-رحمه اللــه- في تفســيره: وقوله تعــالى: إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَــوْنَ رَبَّهُمْ بِــالْغَيْبِ أي: في جميع أحوالهم، حـتى في الحالة الــتي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصـرون فيما أمر به لَهُمْ مَغْفِــرَةٌ لــذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقـاهم عـذاب الجحيم، ولهم أجر كبــير وهو ما أعــده لهم في الجنــة، من النعيم المقيم، والملك الكبــير، واللــذات (المتواصــلات)، والمشتهيات، والقصور (والمنازل) العاليـات، والحـور الحسـان، والخـدم والولـدان. وأعظم من ذلك وأكـبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان ". اه

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (سورة يس:11)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِر﴾ أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أي: من قصده اتباع الحق وما ذكر به، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية اللّه تعالى بالغيب، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبه، ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبو هريرة ﷺ قالَ: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: إذا تَحَدَّثَ[1] عَبْدِي بأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فأنا أكْتُبُها له حَسَنَةً ما لَمْ يَعْمَلْ، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها بعَشْرِ أمْثالِها، وإذا تَحَدَّثَ بأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فأنا أغْفِرُها له ما لَمْ يَعْمَلْها، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها له بمِثْلِها. وَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: قالتِ المَلائِكَةُ: رَبِّ، ذاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وهو أبْصَرُ به، فقالَ: ارْقُبُوهُ فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها له بمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، إنَّما تَرَكَها مِن جَرَّايَ[2]. وَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إذا أحْسَنَ أحَدُكُمْ إسْلامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بمِثْلِها حتَّى يَلْقَى اللَّهَ.

فهذا العبد عندما همَّ بالمعصية لم يكن معه أحد، ولكنه ترك هذه المعصية من أجل الله عز وجل،

---

[1]- تَحَدَّثَ: أي عزم وأراد.
[2]- جَرَّايَ: من أجلي.

والدافع لهذا هو مراقبة الله تعالى. فصارَ تَركُه لهـذه المعصية حَسنةً تفضلًا من الله عليه.

مراقبة الله تجعل الإنسان لا يدخل جوفه إلا الحلال:

وهذه نماذج من سير السلف الصالح ممن راقبوا الله تعالى، فتحروا الحلال، وابتعدوا عن أكل الحرام:

أخرج البخاري من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: كانَ لأبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ له الخَرَاجَ، وكانَ أبو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِن خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بشَيءٍ، فأكَلَ منه أبو بَكْرٍ، فَقالَ له الغُلَامُ: أتَدْرِي ما هذا؟ فَقالَ أبو بَكْرٍ: وما هُوَ؟ قالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ، وما أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إلَّا أنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فأعْطَانِي بذلكَ؛ فَهذا الذي أكَلْتَ منه. فأدْخَلَ أبو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شيءٍ في بَطْنِهِ.

قال قتادة-رحمه الله-: كان مُعَيقِيبٌ على بيت مال عمر فكسَح بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفَعَه إلى ابن لعمر، قال مُعَيقِيبٌ: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجِئت فإذا الدرهم في يده فقال: "ويحك يا مُعَيقيب! أوجدت عليَّ في نفسك شيئًا؟ أوَ مالي ومالك؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: أردت أنْ تُخاصِمني أمَّةُ محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة.

مراقبة الله تفتح على الإنسان أبواب الرزق:

1- راعي الغنم وحسن مراقبته لله:

عن نافعٍ مولى ابنِ عمر-رضِـي الله عنهمـا- قـال:" خـرج عبد الله بن عمـر-رضِـي الله عنهمـا- في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ لهُ، ووضَعُوا السفرة لَهُ، فمَرَّ بهم راعي غنمٍ، فسلَّم، فقـال ابن عمـر: هَلُمَّ يا راعٍ فأصِبْ من هـذه السـفرة، فقـال لـه: إنِّي صـائم، فقـال ابن عمـر: أتصـومُ في مثل هـذا اليـوم الحـارِّ الشديد سـمومُه وأنت في هـذه الحـال تـرعى الغنم؟! فقال: والله إنِّي أبـادر أيـامي الخاليـة، فقـال لـهُ ابن عمر وهو يريد أنْ يختـــبر ورعه وأمانتـــه: فهل لك أنْ تبيعنا شاةً من غنمك هذه فنُعطِيَك ثمنها ونُعطِيَك من لحمِها ما تفطر عليه؟ قـال: إنها ليست لي بغنمٍ، إنها غنمُ سيدي، فقال له ابنُ عمـر: فما يفعـلُ سـيدك إذا فقَـدَها؟ فـولَّى الـراعي عنـه، وهو يرفـعُ أصـبعَه إلى السَّماء، وهو يقول: فأين الله؟ قــال: فجعل ابن عمر يُردِّدُ قولَ الراعي: أين الله؟ قـال: فلمَّا قــدم المدينة بعَث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والـراعي، فـأعتَقَ الـــراعي ووهَبَ له الغنم ". (أسد الغابة لابن الأثـــير: (3/341

2- المبارك -رحمه الله- وحسن مراقبته لله:

كان المبارك عبدًا رقيقًا يشـتغلُ أجـيرًا عند صـاحب بســتان، وفي ذات يــومٍ خــرَج صــاحبُ البســتان مع أصـحابٍ له إلى البسـتان وقـال للمُبـارك: ائتِنا برمَّان حلو، فقطف المبـارك رمانـات ثم قـدَّمَها إليهم، فـإذا هي حامضـةٌ، فقـال صـاحب البسـتان: أنت ما تعـرف الحلو من الحامض؟ قال المبارك: لم تأذَنْ لي أنْ آكُل حتى أعرف الحلو من الحامض، فقال له: أنت من كذا وكـذا سـنة تحـرسُ البسـتان وتقـول هـذا! وظَنَّ أنَّه

يخدعه، فسأل الجيران، فقالوا: ما أكَل رمانة واحـدة. فقـال له صـاحب البسـتان: يا مبـارك، أريد أنْ أستشـيرَك في أمر هـام، إنَّني ليس عنـدي إلا ابنة واحدة، فلمَن أُزوِّجها؟ فقال لـه: يا سـيِّدي، لقد كـان اليهود يُزوِّجون للمـال، والنصـارى يُزوِّجـون للجمـال، والعـربُ يُزوِّجـون للحسَـب، والمسـلمون يُزوِّجـون للتَّقـوى، فمن أيِّ الأصـناف أنت زوج ابنتك للصِّـنف الـذي أنت منـه. فقـال: والله لا أُزوِّجها إلا على التقوى، وما وجدت إنسانًا أتقى لله منك فقد أعتقتُك وزوَّجتك ابنتي".

سبحان الله! عَـفَّ المبـارك عن رمَّانـةٍ من البسـتان فسِـيق إليه البسـتانُ وصـاحبته، والجـزاء من جِنس العمل. ومَن ترَك شيئًا لله عوَّضَه الله خيرًا منه!

ومن هذا البيتِ خرَج عبد الله بن المبـارك الـذي ملأ الـدنيا عِلمًا ووَرَعًـا، وكـان يقـولُ: لأنْ أردَّ درهمًا من شُـبهةٍ خـيرٌ لي من أنْ أتصـدَّق بمائة ألف دِرهم ومائة ألف درهم، حتى عَـدَّ سـتمائة ألف درهم، وصـدَق الله حيث قـال: ﴿ وَالْبَلَـدُ الطَّيِّبُ يَخْـرُجُ نَبَاتُـهُ بِـإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ (الأعراف: 58)

3- ثابت بن إبراهيم رحمه الله وحسن مراقبته لله:

يمرُّ ثابتٌ على بستانٍ من البسـاتين، وكـان قد جـاع حتى أعيـاه الجـوع، فوجد تفاحـةً سـاقطة منـه، فأكل منها النصـف، ثم تـذكَّر أنها لا تحـلُّ لـه؛ إذ ليست من حقِّه، فـدخل البسـتان فوجد رجلًا جالسًـا فقـال لـه: أكلتُ نصف تفاحةٍ فسامحني فيما أكلتُ وخُـذِ النصف الآخَـر، فقـال الرجـل: أمَا إنِّي لا أملك العفو ولكن اذهب إلى سيدي فالبسـتان ملـكٌ لـه، قـال: أين هـو؟ قال: بينك وبينه مسيرة يوم وليلة، قـال: لأذهبنَّ إليه مهما كـان الطريق بعيـدًا؛ فـالنبيُّ ﷺ قـال: " كـلُّ لحمٍ

نبت من سُـحْتٍ فالنـارِ أَوْلَى بــه"، حــتى وصَــل إلى صـاحب البسـتان، فلمَّا دخَل عليه وقصَّ عليه القصص قـال صـاحب البسـتان: والله لا أسـامحك إلا بشـرطٍ واحد. فقال ثابت: خُذْ لنفسك ما رضيت من الشروط. فقـال: تـتزوَّج ابنـتي، ولكن هي صـماء عميـاء بكمـاء مُقعدة. فقال ثابت: قبلت خطبتها، وسأُتاجر فيها مع ربي ثم أقوم بخِدمتها، وتَمَّ عقد الزواج فدخل ثابت لا يعلم هل يلقي السـلام عليها أو يسـكت، ولكنَّه آثر إلقاء السـلام لـتردَّ عليه الملائكـة، فلمَّا ألقى السـلام وجـدها تـردُّ السـلام عليـه، بل وقفت وسـلمت عليه بيدها فعلم أنها ليست كما قال الأب، فسألها فقالت: إنَّ أبي أخبرك بأنِّي عمياء فأنا عميـاء عن الحـرام فلا تنظر عيـني إلى ما حـرَّم اللـه، صـمَّاء من كـلِّ ما لا يرضي الله، بكماء لأنَّ لساني لا يتحرَّك إلا بـذِكر اللـه، مقعـدة لأنَّ قـدمي لم تحملـني إلى ما يغضب اللـه، ونظر ثـابت إلى وجهها فكأنَّه القمر ليلة التمـام، ودخل بها وأنجب منها مولودًا ملأ طباق الأرض علمًا"، إنه الفقيه أبو حنيفة النُّعمـان، فمن نسل الـورع والأمانة جاء الفقيه ".

مراقبة الله سبب لتزكية النفس:

قال تعالى: ﴿قَـدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَـا(9) وَقَـدْ خَـابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس:9،10)

فالجنة لا يدخلها إلا كل نفس زكية طاهرة طيبة.

أخــرج أبو داود والــبيهقي من حــديث عبد الله بن معاوية الغاضري ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ:" ثلاثٌ من فعلَهنَّ فقد طعِمَ طعمَ الإيمـانِ من عبــدَ اللَّهَ وحـدَهُ وأنَّهُ لاَ إلَــهَ إلاَّ اللَّهُ وأعطى زَكــاةَ مالِــهِ طيِّبــةً بِها نفسُهُ...". (صـحيح أبي داود: 1580) (صـحيح الجـامع: 3041)

زاد البيهقي في روايته:"... وزكَّى نفسَه"، فقال رجلٌ: وما تزكيةُ النفْسِ؟ فقال:" أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ معه حيثُ كان ". (السلسلة الصحيحة:1046)

وكان ابن عمر-رضي الله عنهما- يقول:" لا يجد عبدٌ صريحَ الإيمان حتى يعلمَ بأن الله تعالى يراه. فلا يعمل سرًا ما يفتضح به يوم القيامة ".

مراقبة الله تجعل الإنسان يؤدي ما عليه من الحقوق:

فقد أخرج البخاري عن أبي هُرَيرة أنَّ رسول الله قال:" إنَّ رجلًا من بني إسرائيل سأل بعضَ بني إسرائيلَ أنْ يُسلفهُ ألف دينارٍ، فقال له الرجل: ائتني بشُهَداء أُشهدهم، قال: كفَى بالله شهيدًا، قال: ائتني بكفيلٍ، قال: كفَى بالله كفيلًا، قال: صدقتَ، فدفعها إليه إلَى أجلٍ مُسمًّى، فخرَج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمَس مَركَبًا يقدمُ عليه للأجل الذي كان أجَّلَه فلم يجدْ مركبًا، فأخَذ خشبةً فنقرها، وأدخَل فيها ألفَ دِينارٍ وصَحيفةً معها إلى صاحبها، ثم زجَّجَ[1] مَوضِعَها، ثمَّ أتى بها البحر ثمَّ قال: اللهم إنَّك قد علمتَ أنِّي استلفْتُ من فلانٍ ألفَ دينارٍ فسألني كفيلًا فقلتُ: كفى بالله كفيلًا فرضِيَ بكَ، وسألني شهيدًا، فقلتُ: كفَى بالله شهيدًا فرضِي بك، وإنِّي قد جَهِدتُ أنْ أجدَ مركبًا أبعثُ إليه بالذي له فلم أجد مركبًا، وإنِّي استودَعتُكَها، فرَمَى بها في البحرِ حتى ولَجتْ[2] فيه ثُمَّ انصَرف ينظُر وهو في ذلك يطلُب مركبًا يخرُج إلى بلدِه، فخرَج الرَّجُل الذي كان أسْلَفَهُ ينظُر لعلَّ مركبًا يجيءُ بمالِه، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخَذَها لأهْله حَطَبًا، فلَمَّا كسَرَها وجد المال والصَّحيفة، ثم قدم الرَّجُل الذي كان تَسلَّفَ منه فأتاه بألفِ دِينارٍ وقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ

[1]- زجج: سوى موضع النقر وأصلحه.
[2]- ولجت: دخلت.

بمالك فمَا وجـدتُ مركبًا قبـلَ الـذي أتيتُ فيـه، قـال: هل كنت بعثتَ إليَّ بشـيءٍ؟ قـال: ألم أُخبِـركَ أنِّي لم أجدْ مركبًا قبلَ هذا الذي جِئتُ فيه؟ قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثتَ به في الخشَبة، فانصـرفْ بألْفِـكَ راشِدًا".

فلم يكن هنـاك ما يثبت حق هـذا الرجـل، ومع هـذا دفع المال إليه، والدافع لهذا هي مراقبة الله تعالى.

مراقبة الله سبب للنجاة في الدنيا والآخرة:

فقد أخـرج الطـبراني في الأوسط من حـديث ابن عمر قال: قال رسـول الله : " ثلاثٌ مُهلِكـاتٌ، وثلاثٌ مُنجِيـــــــاتٌ، وثلاثٌ كفَّاراتٌ، وثلاثٌ درجـــــــاتٌ، فأمَّا المُهلِكاتُ: فشُحٌّ مُطاعٌ، وهـوًى مُتَّبَـعٌ، وإعجـابُ المَـرءِ بنَفْسِه، وأمَّا المُنْجِياتُ: فالعَـدْلُ في الغَضَـبِ والرِّضـا، والقَصْـدُ في الفَقـرِ والغِـنى، وخشـيةُ اللـهِ في السِّـرِّ والعَلانيةِ، وأمَّا الكفَّاراتُ: فانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّـلاةِ، وإسـباغُ الوُضـوءِ في السَّـبَراتِ، ونَقْـلُ الأقـدامِ إلى الجمَاعاتِ، وأمَّا الـدَّرجاتُ: فإطعـامُ الطَّعـامِ، وإفشـاءُ السَّلامِ، وصـلاةٌ باللَّيـلِ والنَّاسُ نِيـامٌ ". (ضـعفه بعض أهل العلم وصححه الالباني في صحيح الجـامع:3045، والصحيحة:1802)

مراقبة الله سبب في تفريج الكروب:

ففي الحديث الـذي أخرجه البخـاري من حـديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قـال رسـول الله :" انْطَلَــقَ ثَلَاثَــةُ رَهْــطٍ مِمَّنْ كــانَ قَبْلَكُمْ حتَّى أوَوُا المَبِيتَ إلى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَـلِ، فَسَـدَّتْ عليهمُ الغَـارَ، فَقـالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هـذِه

الصَّــخْرَةِ إلَّا أنْ تَــدْعُوا اللَّهَ بِصَــالِحِ أعْمَــالِكُمْ، وفي الحــديث:"... وقــالَ الآخَـرُ: اللَّهُمَّ كَـانَتْ لي بنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ، فأرَدْتُهَا عن نَفْسِـهَا، فَـامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى ألَمَّتْ بهَا سَــنَةٌ مِنَ السِّــنِينَ، فَجَــاءَتْنِي، فأعْطَيْتُهَا عِشْــرِينَ ومِئَةَ دِينَــارٍ علَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِــلُّ لــكَ أنْ تَفُضَّ الخَــاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَــرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَـرَفْتُ عَنْهَا وهي أحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، وتَــرَكْتُ الــذَّهَبَ الَّذي أعْطَيْتُهَــا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَــاءَ وجْهِــكَ، فَــافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيــهِ. فَــانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْـتَطِيعُونَ الخُـرُوجَ منها. قــالَ النَّبيُّ ﷺ:ـــ وقـــالَ الثَّالِثُ: اللهمَّ اسْــتَأْجَرْتُ أُجَــراءَ وأعطَيتُهم أجـرَهم غــيرَ رَجُـلٍ واحــد، تــركَ الــذي له وذهب، فثمَّرتُ أجــرَه، حــتى كــثرتْ منه الأمــوال، فجــاءني بعد حينٍ، فقــال: يا عبد اللــه، أدِّ إليَّ أجــري، فقلتُ: كُــلُّ ما تَــرى مَن أجــرك: من الإبــل، والبقــر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد اللـه، لا تسـتَهزِئ بي، فقلت: لا أسـتهزئ بــك، فأخَــذَه كُلَّهُ فاسـتاقَهُ، فلم يـــترُك منه شــيئًا، اللهم إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغــاء وجهك، فـافرج عنَّا ما نحنُ فيـه، فـانفرجت الصـخرةُ؛ فخرجوا يمشُون ".

مراقبة الله سبب أن يستظل العبد في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حـديث أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ؛ إِمَامٌ عَادلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُـلٌ قَلْبُــهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَــاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْـرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِــبٍ وَجَمَــالٍ فَقَــالَ إِنِّي أَخَــافُ اللَّهَ، وَرَجُــلٌ

تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

والناظر لأحوال هؤلاء السبعة يلاحظ أن الذي يجمعهم هي مراقبة الله عز وجل.

مراقبة الله سبيل لدخول الجنة:

اللهَ عز وجل قد أعدَّ لمن راقبَهُ وخَشِيَه أجْرًا عظيمًا، ومقامًا رفيعًا.

فقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ(33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ(34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (سورة ق:31- 35).

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (سورة الرحمن: 46)

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال:" الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها ".

- وفي رواية قال:" في الذي إذا همّ بمعصية تركها ".

- وفي رواية قال:" هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله ". (تفسير الطبري)

وقال الضحاك-رحمه الله- في الآية السابقة:" هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله، لا يحب أن يطلع عليه أحد ". (تفسير البغوي)

وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس

معه ســهو، ومراقبة الله تعــالى في السر والعلانيــة، وانتظار الموت بالتأهب لـه، ومحاسـبة نفسك قبل أن تحاسب ".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحتويات